الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

# مجتمع وادي ســـــوف من خلال الشعر الشعبـــــــي

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص:أدبي شعبي

إعداد الطالبة

ميسون موساوي

الأستاذ المشرف:

مسعود وقاد

| | | |
|---|---|---|
| الدكتورة:قمرة كرام | جامعة حمه لخضر الوادي | رئيسا |
| الدكتور:مسعود وقاد | جامعة حمه لخضر الوادي | مشرفا ومقررا |
| الأستاذ:سعد حمادة | جامعة حمه لخضر الوادي | مناقشا |

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/2014-2015م

**مقدمـــــــة :**

يعتبر الشعر الشعبي أحد الأشكال التعبيرية العاكسة لآداب العامة (الأدب الشعبي)،فهو المعبر عن وجدان الجماعات الشعبية ،يتحسس هواجسها ،يدعم تماسكها ، ويعالج قضاياها ،لذا يمكننا من خلاله أن نستشف ما يختلج في الوعي الجمعي لدى الشعوب ،ويلمس اهتماماتهم في مختلف المجالات.

ومادام الشعر ملازما للشعوب فقد ارتبط وجوده بوجودها ،فقد كان مرآة عاكسة لواقعها ،إذ يمكن الاعتماد عليه لسبر أغوار النفس الإنسانية ،وما لديها من نواح متعددة، بغية الوصول إلى مدى تأثير هذا الشكل الأدبي فيها، والهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على واقع الشعر الشعبي بالمنطقة ومعرفة مدى عكسه لطبيعة المجتمع.

ولعل ما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الذاتية فتتمثل في ميلي إلى الشعر الشعبي وإعجابي الشديد بالقصائد الشعبية وأما الموضوعية نقص الدراسات في هذا الشأن، والمنطقة مملوءة بالكنوز الشعرية الهامة ،ومحاولة التعرف على شعراء المنطقة وأشعارهم ،ومن هذا المنطلق أثرت أن يكون لي فضل الدخول إلى عالم الشعر الشعبي من خلال هذا العمل الأكاديمي.

بناء على ما تقدم لي العديد من الإشكاليات التي تحدد مسار البحث أهمها : هل النص الشعري قادر على حمل الواقع الاجتماعي ؟ ، وهل يعتبر الشعر مرآة عاكسة للمجتمع؟، وهل استطاع هذا الشعر تجسيد أفكار المجتمع من خلال الأغراض التي نُظم فيها؟ ، وما هي الأبعاد الاجتماعية والوظائف التي أداها هذا النوع ؟ .

وللإجابة على هذه التساؤلات كانت الخطة مبنية على وثلاثة فصول ،وخاتمة .

ففي الفصل التمهيدي :تناولنا تفكيك مصطلحات العنوان؛ ماهية المجتمع و الشعر الشعبي من حيث المفهوم ،و النشأة والأغراض، كما تطرقنا إلى الإطار العام لمنطقة البحث من حيث الجانب التاريخي، الجغرافي ،الاجتماعي ،الاقتصادي، الديني، والثقافي.

وفي الفصل الأول: وهو عبارة عن جانب تطبيقي في البحث، حاولنا فيه التّطرق إلى صور من حياة المجتمع السوفي من خلال معرفة تجليات البيئة السوفية و،كذلك المظاهر الدينية ،الاقتصادية والاجتماعية .

أما الفصل الثاني: فتضمن وظائف الشعر الشعبي، من حيث الوظيفة التربوية، والوظيفة الترفيهية التي يؤديها في المناسبات، وكانت الخاتمة متضمنة لأهم النتائج المتوصل إليها ،كما أرفقت هذا البحث بملحق لحياة بعض الشعراء الشعبيين.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع القائم على تصنيف الشعر، حسب أبعاده وموضوعاته، ووظائفه أن استعين بأكثر من منهج، بيد أن المنهج الأساسي هو المنهج الوصفي التحليلي المناسب لتحليل الشعر ووصف المظاهر المدروسة ،وكذلك المنهج الأنثروبولوجي المناسب لتحليل بعض الظواهر، وتفسيرها والمساعد على دارسة العلاقات الأسرية ،والاجتماعية . كما استعنت بالمنهج التاريخي في دراسة المنطقة ونشأة الشعر ،وتطوره .وأهم الصعوبات التي اعترضت طريق البحث فهي: أولا شساعة الموضوع ،وصعوبة الإلمام بجوانبه، وعدم توفر الكتب والرسائل التي تقوم بتحليل الشعر الشعبي وربما صعوبة فهم الألفاظ الشعبية .

ولقد تمكنت –بعون الله– من تجاوز هذه الصعوبات، ولإتمام هذا البحث اعتمدت على قائمة من المصادر والمراجع أهمها:" الصروف في تاريخ الصحراء وسوف"لإبراهيم العوامر و" الشعر الشعبي العربي" لحسين نصار،و" الشعر الشعبي العربي" لعبد الصمد بالكبير " دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري "لثريا التجاني" و" مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا "لمحمد الجوهري وبعض دواوين الشعراء الشعبيين.

وفي الختام لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم جزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف وإلى من أعانني وأخص بالذكر الأستاذ رئيس المشروع "أحمد زغب" الذي وفر لنا كل ما احتجنا إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وأخيرا فهذا جهدي فإن أصبت فذلك من فضل ربي وإن كان غير ذلك فعسى أن أوفق في بحوث أخرى.

## الفصل التمهيدي

### أولا : ماهية المجتمع

### ثانيا: التعريف بمنطقة وادي سوف

**دلالات التسميـــــة**

**الموقع الجغرافي**

**الإطار التاريخي**

**الإطار الاقتصادي**

**الإطار الاجتماعي والثقافي**

**الإطار الديني**

### ثالثا: الشعر الشعبي دراسة نظرية

**مدخل إلى الأدب الشعبي**

**مفهوم الشعر الشعبي**

**تسميات الشعر الشعبي**

**نشأة الشعر الشعبي**

**أغراض الشعر الشعبي**

## أولا: ماهية المجتمع

**تمهيد:**

الميل للاجتماع ميل طبيعي امتلكه الإنسان منذ بدء الخليقة ومنذ أن وجد الإنسان على الأرض وجد معه ميله الطبيعي للالتقاء مع أبناء جنسه . ولذلك لا يوجد ما يدلل على وجود إنسان عاش بمفرده ، بل إن الدلائل تشير إلى أنه كان ولازال مجتمعا مع غيره من أبناء جنسه" [1] .وقد كان يحدث في أول الأمر بشكل تلقائي ودون أي وعي أو قصد فظهرت بذلك أبسط أشكال التجمع وهي تلك التي تميزت بمجرد وجود الناس قريبين من بعضهم في مساحة معينة ودون أن يميزهم أي شيء سوى هذا القرب من بعضهم ،حيث لم يكن هذا القرب يرتبط بأي نوع من التنظيم أو التأثير المتبادل أو أي علاقة من نوع آخر.[2]

وإذا أردنا معرفة معنى كلمة "مجتمع" لغة نجدها:

- **تعريف لغوي:**

جاء في لسان العرب لابن منظور أن مادة جمع ،"جمع الشيء عن تفرقته يجمعه جمعا وجمعه واجمعه فاجتمع،... وتجمع القوم اجتمعوا أيضا هنا وهنا"[3]،"وقوم جميع مجتمعون ...يكون اسما للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه"[4] .

[1] فهمي سليم العزاوي وآخرون:مدخل إلى علم الاجتماع،دار الشروق،الأردن،ط2، 2000م، ص80.

[2] سمير عبد الفتاح:مبادئ علم الاجتماع،دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط1 ، 2006 ،ص139.

[3] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري:لسان العرب ،دار صادر،بيروت،(دط)،(دت)،مادة(ج-م-ع).

[4] المرجع نفسه:مادة(ج،م،ع).

ويضيف مالك بن نبي في تعريفه اللغوي للمجتمع :"لعل من نافلة القول أن نذكر أن مصطلح (مجتمع في معناه البسيط-المعنى الأدبي الذي يعطيه القاموس —يعني تجمع أفراد ذوي عادات متحدة يعيشون في ظل قوانين واحدة ،ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة "[1].

كل من التعريفين السابقين تحدث عن تجمع من الأفراد في مكان واحد ،وتجمعهم مصالح و أعمال مشتركة في مكان محدد ،وبنظام معين هذا بالنسبة للتعريف اللغوي أما التعريف الاصطلاحي فتعددت التعريفات ومن بينها:

- **اصطلاحا:**

يعرفه محمد الجوهري بقوله:" المجتمع عبارة عن نسق اجتماعي مكتف بذاته ،ومستمر في البقاء بفعل قواه الخاصة ،ويضم أعضاء من الجنسين (ذكور وإناث) ومن جميع الأعمار" [2] إذن المجتمع يضم مجموعة من الأفراد وليس مجموعة أفكار مجردة ،تعيش هذه المجموعة في نظام اجتماعي ،وفي منطقة واحدة .ويعرفه أيضا باحث علم الاجتماع البروفيسور هوي هوس بأنه:" مجموعة أفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ."[3]

إذن تطلق كلمة مجتمع على كل جماعة تتوفر فيهم الشروط التالية "أفراد يعيشون معا في فترة طويلة مساحة معينة من الأرض يعيشون عليها."[4]

[1] مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،شبكة العلاقات الاجتماعية،ج1، (دط)،(دت)،ص13.

[2] محمد الجوهري:مدخل إلى علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية ،ط5 ، 2006م، ص32.

[3] دينكن ميشيل:معجم علم الاجتماع، تر،إحسان محمد الحسن،دار الصليعة للطباعة والنشر،بيروت،ط2 ، 1986م، ص226.

[4] المرجع نفسه،ص228.

وما نستنتجه من هذه التعاريف أن الباحثين وضعوا شروطا يجب توفرها لكي نطلق على جمع ما تسميه المجتمع ،ومن هذه الشروط نجد:

1 - وجود مجموعة من الأفراد

2 - بقعة جغرافية محددة سياسيا وجغرافيا

3 - مجموعة من العادات والتقاليد والقيم والأحكام المشتركة

4 - أهداف مشتركة ومتبادلة

5 - وجود الدين واللغة والتاريخ المشترك.

ويرى جنزبرغ أن كلمة "مجتمع" تعني "مجموعة من الأفراد تربطهم أو تجمعهم صلات معينة أو طرق من السلوك تميزهم عن أفراد آخرين لا تشملهم أو تربطهم هذه الصلات أو يختلفون عنهم في السلوك"[1]

- **التجمع الإنساني ضرورة حياتية:**

الإنسان بطبعه يميل إلى العيش مع أبناء جنسه ،ولذلك لم يوجد ما يدلل على وجود إنسان عاش بمفرده بل إن كل الدلائل تشير إلى أنه كان ومازال مجتمعا مع غيره من أبناء جنسه ،بغض النظر عن شكل هذا الاجتماع فهو ظهر في بدايته بسيطا لأنه لا يستند إلى أهداف واضحة محددة ،لذلك تميزت أشكال التجمع الإنساني الأولية بالبساطة لأنها ارتبطت أساسا بالقرب المكاني دون ارتباطها بأي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي ،ولذلك غلبت عليها سمة الحشد لأنها تفتقر إلى العلاقات الاجتماعية الواضحة ،وتجمع الناس بعضهم ببعض عملية طبيعية ظهرت نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته بشتى عناصرها ومنها الإنسان نفسه. وكانت حاجات الإنسان البيولوجية والنفسية تفرض عليه العيش في تجمع أنساني والذي عرف في أبسط أشكاله بالحشد .لكن ما إن نجد الكائن البشري نفسه يحيا في جماعات حتى يواجه مشكلات جديدة عليه تخطيها .لأن حياة الجماعة تختلف عن حياة الفرد

[1] سمير عبد الفتاح:مبادئ علم الاجتماع،ص140.

ومنه على الجماعة أن تضع قدر من التنسيق والتكامل بين أفعالهم وسلوكاتهم من خلال آلية تنظيم حياتهم لكي يتجنبوا الفوضى والخراب.

وبالتالي فإن الحياة الاجتماعية ضرورة أساسية للإنسان شاء أم أبى فهو لا يمتلك حيالها إلا أن يعيشها مجتمعا مع غيره[1].

- **العوامل المساعدة في التجمع الإنساني:**

1) **البيئة الطبيعية :**

لعبت العوامل الطبيعية دورا هاما وفاعلا في حياة الإنسان الاجتماعية منذ وجوده على الأرض فالعوامل الطبيعية كالمناخ المناسب ،وتوفر الصيد والتربة الخصبة والطرق السهلة ،وكثرة الموارد الطبيعية بأنواعها المتعددة والمختلفة ،كل هذه المعطيات تدعو إلى تجمع الكائنات البشرية ،وقد رافقت الإنسان حاجاته المتعددة وخاصة الأساسية منها كالمأكل والمشرب والمأوى، فحيثما توفرت هذه الاشباعات تجمع الناس وكونوا بذلك حشودا.

2) **الغريزة الجنسية :**

الجنس غريزة أساسية تدفع للبحث عن الطرف الآخر لإشباعها ،فالجنس محرك للالتقاء بين الذكر والأنثى وهنا يتحقق واحد من الشروط الاجتماعية وهي وجود فردين ،لكن الجنس لا يتوقف عند حد الإشباع الغريزي ،ولكن يتبعه دافع إنجاب الأطفال وما يتميز به أطفال النوع البشري من بطء في النمو ورعاية لفترات طويلة ،وقد ساعد ذلك على نشوء الأسرة كأقدم شكل للتنظيم الاجتماعي.

3) **الروابط النفسية :**

هذه الروابط تنبع مما سماه "جيدنيز" الشعور بالنوع ،وهذا الشعور يتضح من خلال ميل كل فصيلة حيوانية إلى الالتقاء والاقتراب من الكائنات التي تتشابه معها ،وتنفر من تلك التي تختلف عنها وهذا الشعور يعتبر من العوامل الأساسية التي ساعدت على تكوين المجتمعات الإنسانية كما تبدو العوامل

[1] ينظر: فهمي سليم العزاوي وآخرون:مدخل إلى علم الاجتماع،ص80-81.

النفسية من خلال ما ينتاب الإنسان من الخوف من أمور معينة تدفع الناس للاجتماع مع بعضهم البعض في جماعات لتوفير الحماية سواء على صعيد الظواهر الطبيعية التي لم يفهمها الإنسان كالزلازل والبراكين ،والخسوف والكسوف أم الخوف من الحيوانات المفترسة أم من الإنسان نفسه[1].

من خلال ما سبق نستنتج أن الإنسان اجتماعي بطبعه يعيش داخل مجموعات ولا يمكنه العيش منعزلا وحيدا ،وذلك راجع إلى طبعه كما اشرنا سالفا ،وكذلك لوجود عوامل مساعدة ومساهمة في ظهور التجمعات ،منها البيئة الطبيعية ،الغريزة الجنسية،والروابط النفسية كل هذه العوامل تجعل الإنسان يتحد مع أبناء جنسه ويضع نظما تحفظ وتضبط سلوكه وتتفاعل هذه المجموعة من الأفراد وتتعاون نحو أفراد مشتركة ،وهذا ما يعرف بالمجتمع ،وبذلك يتميز المجتمع الإنساني عن المجتمع الحيواني.

وعلى الرغم من وضوح كلمة"مجتمع" وكذلك بيان الحدود الجغرافية لمجتمع ما ،لكننا نجد محمد الجوهري يؤكد أنه يكاد يكون من المستحيل وضع حدود دقيقة لمجتمع ما ،ولكن يمكن وضع حدود المجتمع ما حسب الأحوال وحسب الهدف من تعيين هذه الحدود ،وبوسعنا مثلا أن نتكلم عن المجتمع المصري وأحيانا عن المجتمع العربي بل وأحيانا أخرى عن المجتمع الدولي بعد أن أصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة بواسطة شبكة الاتصال التي تربط بين كافة سكان الأرض تقريبا كما نلاحظ من ناحية أخرى ،أن المجتمع المكتمل (ليس الكامل) والقادر على البقاء مستقلا ومنفصلا قد يكون مجتمعا صغيرا كل الصغر[2].

[1] ينظر: فهمي سليم العزاوي وآخرون:مدخل إلى علم الاجتماع،ص73-74.

[2] ينظر: محمد الجوهري:مدخل إلى علم الاجتماع،ص32.

وأثناء تناولنا لمصطلح المجتمع نجد مصطلح المجتمع المحلي يذكر أحيانا فما هو المجتمع المحلي؟

- **المجتمع المحلي:**

لقد عرف ماكيفروشارلزبيج المجتمع المحلي بأنه :"مجموعة من الناس يحتلون بقعة معينة من الأرض ويربطهم معا نظام عام من القواعد التي تنظم حياتهم وتحدد الصلات بينهم ،على أن لا يمنع هذا أن يكون المجتمع المحلي جزءا من مجتمع محلي أكبر"[1] .

ويعرفه محمد الجوهري "المجتمع المحلي في الاستخدام السوسيولوجي الانثربولوجي الشائع يشير إلى جماعة من الأفراد الذين تجمع بينهم روابط عديدة متنوعة ويشتركون في قدر من المصالح والاهتمامات ،وهو يشير كذلك إلى ارتباط تلك الجماعة بحيز مكاني محدد كالبلدة الصغيرة أو جزء من المدينة (الحي)...أي العيش معا والسعي نحو تحقيق استمرار الحياة."[2] .

من التعريفين السابقين يتبين أن المجتمع المحلي هو جزء من المجتمع وهو عبارة عن مجموعة من الأفراد لديهم عادات وتقاليد مشتركة وتربط بينهم روابط متنوعة لهم أهداف مشتركة ويتواجدون في حيز مكاني محدد .

"وقد ميز ماكيفروشارلزبيج بين نوعين من المجتمعات المحلية:

أ - مجتمعات محلية كبيرة : قد تكون كبيرة حتى تصل في اتساعها إلى أن تكون أمة

ب - مجتمعات محلية صغيرة: قد تكون صغيرة كقرية أو جيزة معينة "[3]

ويعتبر مجتمع وادي سوف مجتمعا محليا لذا سنحاول معرفة حدوده الجغرافية وما يجمع بين أفراده من عادات وتقاليد ودين... مشترك وهذا ما نحاول الإجابة عليه لاحقا.

[1] سمير عبد الفتاح:مبادئ علم الاجتماع،ص141.

[2] محمد الجوهري،علياء شكري:مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا،ص150.

[3] سمير عبد الفتاح:مبادئ علم الاجتماع،ص141.

## ثانيا: التعريف بمنطقة وادي سوف

### تمهيـــــد:

يعتبر هذا التمهيد (التعريف بالمنطقة) مهما بالنسبة لهذا البحث لأن العمل الأدبي يمثل تفاعلا بين المبدع والبيئة . ولا شك أن المقولة "الشاعر ابن بيئته صحيحة إلى حد بعيد ،إذ أن مراعاة البيئة في دراسة الشعر الشعبي أساسية" [1] فالبيئة بأبعادها الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية وغيرها بمثابة المادة الأولية التي تتفاعل فيما بينها وتؤثر بشكل أو بآخر على المبدع ليعطينا إبداعات أدبية تحمل صفات هذا المجتمع وتعكس طبيعته،وكما سبق وذكرنا في تعريف المجتمع أن الرقعة الجغرافية والشعور بالانتماء من العوامل المهمة في تكوين المجتمع.

وفي هذا المقام ارتأينا أن نتعرف على البيئة الجغرافية والطقس بمنطقة سوف ،وكيف تعايش معها الإنسان السوفي عبر الزمان. وكيف انعكست هذه الخصائص الطبيعية و التاريخية والاجتماعية على الأدب بصفة عامة وخاصة منه الشعر الشعبي الذي هو محل الدراسة .

[1] العربي دحو:بعض نماذج الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1986م،ص40.

**دلالات التسميـــــة:**

اشتهرت ولاية الوادي بتسميتين اثنتين هما" الوادي" و"وادي سوف" ،ودلالة معروفة الوادي على أنها الوادي النهر (مجرى المياه) وهذا لا يختلف فيه اثنان ؛ لأن الوادي كان جاريا حقيقة في هذه الأرض وهذا ما اجتمعت على ذكره معظم الكتب والمؤلفات التي أرخت ودرست هذه المنطقة قديما "ولعله الوادي الذي سماه الشيخ العدواني "بغديرة النيل"بقوله: قال الراوي:ثم انحدروا إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النيل"[1].

" وقيل سمي بالوادي لأن أهله لا يهدؤون ولا يسكنون بل يتحركون دائما أما بالسفر أو الرحيل فشبهوهم بجريان الماء في محله المسمى واديا"[2] .

أما سوف فتشير بعض المصادر إلى أن كلمة "سوف تعني النهر في لغة قبيلة زناتة البربرية التي سكنت سوف قديما"[3].

" وقيل لأنها كانت محلا لأهل الصوفة لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها وقيل سميت بذلك لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم"[4].

" وقيل سميت بمسوفة وهم فرقة الطوارق الملثمين من البرابرة ففي تاريخ ابن خلدون ما يفيد أنهم مروا بهذه الأرض فلعلهم سكنوها زمنا أو فعلوا بها شيئا فسميت بهم"[5].

[1] محمد العدواني:تاريخ العدواني ،تح:أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط2، 2005م،ص109.

[2] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،مطبعة سخري،الوادي،ط1، 2012م،ص09.

[3] كمال بن عمر:الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،رسالة ماجستير ،جامعة باتنة،2007م،ص13(مخطوط).

[4] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،تع:الجيلاني العوامر ،منشورات ثالة ،الجزائر،(دط)،2007م،ص42.

[5] المرجع نفسه:ص43.

"وقيل توجد منطقة بأرض الشام تسمى "سوف "قدم بعض أهلها مع الفتح الإسلامي ،فسموا أرض سوف باسم بلدهم الأصلية بالشام"[1].

ويرجع بعضهم كلمة سوف إلى أصلها العربي بحيث " قال القدماء حين أتى طرود إلى هذه النواحي قالوا نسكن تلك السيوف* أي الأحقاف والكثبان من الرمل .والسيوف * جمع سيف أي كثيب من الرمل فحذفت الياء بكثرة الاستعمال وتداول أول السنة العامة عليها مع عدم محافظتهم على أصول الكلمات فصار الذاهب والآتي يقول ذاهب إلى سوف أو كنت في سوف"[2] .

وكل هذه الدلالات تصب في محاولة التأصيل لكلمة سوف كما جاء في بعضها أن سوف تعني النهر والوادي واستعملتا معا "وادي سوف".

وفي اللغة العربية نجد أن السيوف تعني الأحقاف ومعناها الكثبان الرملية ذات السيوف الحادة وهذا هو طابع الوادي كثرة السيوف والكثبان الرملية ،إذن سنحاول اختزال باقي الآراء ونأخذ بالرأي القائم في معنى النهر وفي معنى الكثبان الرملية وهما الأقرب إلى الواقع.

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص14.

* سيوف:جمع سيف يطلق على الكثيب من الرمل الممتد أعلاه حاد ،سمي بذلك تشبيها له بسيف السلاح القاطع.

[2] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص43.

**الموقع الجغرافي:**

تحتل منطقة وادي سوف موقعا جغرافيا هاما ،كونها" تقع في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري وسط العرق الشرقي للصحراء الجزائرية ،تبلغ مساحتها حوالي 82 ألف كلم$^2$ يحدها من الشرق تونس ومن الجنوب ليبيا،ومن الغرب دائرة تقرت و ولاية ورقلة في الجزء الجنوبي"[1] .

وتنحصر ما بين دائرتي عرض 31° و34° شمالا وما بين خطي طول 6° و8° شرقا ،وهي بذلك تشكل كتلة ضخمة من الكثبان الرملية "[2].

"إن سوف عبارة عن مجموعة من الواحات توجد في المثلث من الشمال تقريبا 25كلم بخط أفقي وعموديا ب37 كلم تقريبا وتشكل الواحات غطاء شاسعا يفصلها العرق الشمالي حيث تبلغ مسافة الحدود التونسية شرقا و إلى واحات وادي ريغ غربا حوالي 160 كلم ومن سطيل شمالا إلى غدامس جنوبا حوالي 600كلم"[3].

[1] ثريا التجاني :دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري،(وادي سوف أنموذجا )،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،(دط)،1998م، ص06.

[2] مكاوي عون،سوداني عمار،سباق عبد القادر بشير:هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة،مطبعة سرخري،الوادي،ط2014،1م، ص22.

[3] المرجع نفسه:ص23-24.

**طبيعة الأرض والمناخ: أ/ الأرض:**

"تغطي الرمال معظم أراضي سوف مشكلة ما يقارب ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية ومن مظاهر الكثبان الرملية التي تسمى عند العامة السيوف كما أشرنا سابقا. وعندما تكون شديدة العلو يطلق عليها اسم "الغرود" وتسود في بعض المناطق الأخرى حمادات أرضية تشكل طبقات حجرية متنوعة منها "الترشة ويصنع منها الجبس و"اللوس" وهي حجارة صلبة تستعمل في البناء وأنواع أخرى مختلفة الصلصالة أو التافزة"[1].

هذا في سطح الأرض أما في باطنها ،فهي غنية بالمياه الجوفية "والتي توجد بأعماق متفاوتة ما بين 3 إلى 10 أمتار وربما أكثر في مناطق أخرى ،حيث يصل عمقها كلما اتجهنا جنوبا ،من 7م إلى 8م بقمار و 14م إلى 15م بالوادي وربما تصل الأعماق في بعض الأحيان إلى 20م في أقصى جنوب الوادي "[2] .

وباختلاف أعماق هذه الآبار تختلف ملوحتها ونقاؤها من منطقة إلى أخرى ،وللماء الدور الرئيسي في النشاط الزراعي الذي يعتمد عليه اقتصاد المنطقة القائم على غراسة النخيل وتربية المواشي.

**بـــ/ المناخ:**

جو الصحراء في منتهى الحرارة حرا ،وفي منتهى البرودة بردا فقد ترتفع فيه الحرارة إلى ما فوق الخمسين درجة وتنخفض ليلا إلى ما يقرب من الدرجة الصفر"[3] إذن فالمناخ السائد في منطقة الوادي هو المناخ القاري الذي يتميز بصيف حار جدا وشتاء بارد جدا .

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص17.

[2] مكاوي عون،سوداني عمار،سباق عبد القادر بشير:هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة،ص24.

[3] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص57.

"وتشتهر بهبوب ريحين في السنة هما ريح السموم وتسمى "الشهيلي" وهي ريح محرقة في غاية الشدة ،وريح الصبا وتسمى عندهم البحري لأنها تأتي من ناحية البحر " [1] وعموما فالرياح تهب بشكل مستمر في المنطقة لكنها تشتد أكثر في الربيع.

"أما الأمطار بأرض سوف فهي نادرة ،وتهطل في بعض الجهات منها أحيانا في الشتاء،بينما تحرم منها طوال السنة والسبب في قلة الأمطار في الصحراء كما يقول العلماء هو بعدها عن الجبال والبحار"[2].

**جـ/ أنواع النباتات**

من طبيعة الصحراء الجفاف والحرارة وكثرة الرمال وهو ما لا يساعد على وجود غطاء نباتي كثيف "ولكن لا يعني انعدامه ،بل وجدت نباتات تأقلمت مع هذه البيئة وأهمها النخيل " [3] فهو الغطاء النباتي الأبرز في أرض سوف،وله أنواع كثيرة متباينة ،وقد ذكر الدكتور أحمد بحاح أن أنواع النخيل بوادي سوف يقدر عددها بمائة وخمسين نوعا إلى مئتي نوع ومن تلك الأنواع :الغرس،دقلة نور،دقلة بيضاء،تكرمست،تافزوين،تافرزاي...الخ [4] وبالإضافة إلى واحات النخيل هناك الأشجار والنباتات العشبية والحشائش التي ترعاها البهم السائمة وقطعان الرحل من البدو .

ومن الأنواع الخاصة بالرعي نجد أصنافا كثيرة منها الحلفاء والبشنة والصفار ،والعرجف... وأما النباتات المستعملة في الرعي والتداوي معا فهي أيضا كثيرة منها:البسباس عنب الذئب ،الحرمل الفيجل،البصيل...الخ وجميع هذه النباتات برية تنبت بنفسها وتسقى من المطر[5] .

[1] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص58.

[2] نفس المرجع:ص58.

[3] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،ص12.

[4] ينظر: كمال بن عمر:الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص18.

[5] ينظر:إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص59-61.

**د/ أنواع الحيوان والطيور:**

إن المناخ الذي كان سائدا في المنطقة قديما (المناخ المتوسطي منذ آلاف السنين)سمح بعيش العديد من الحيوانات المنقرضة "كالفيل فقد عثر على هيكل عظمي كامل لماموث بمنطقة حاسي خليفة ويوجد الآن بالمتحف الوطني "[1] .

كما ذكر إبراهيم العوامر في كتاب الصروف أن هناك أنواع كثيرة من الحيوانات الوحشية والبرية التي كانت تعيش في المنطقة ومنها التي صادفت وجود الإنسان عايشها واصطادها نذكر :الأسد ،النمر،الفهد،الحمار الوحشي،البقر الوحشي،الزرافة وغيرها وهناك حيوانات برية مازلت موجودة كالغزال والذئب والأرنب والفنك والثعلب والضبع والقنفذ واليربوع ومن الزواحف الورن والشرشمان والزرزومية والهوام كالأفاعي والعقارب .

أما الحيوانات اللصيقة بالإنسان البدوي فيعيش بمنطقة وادي سوف أنواع متعددة لعل من أهمها الجمل فهو رفيق الإنسان البدوي والحامل لأثقاله والصابر معه على جفاف الصحاري ،وعلاوة على ذلك فهو حليب ووبر وباختصار هو ثروة اقتصادية ،كذلك نجد الماعز ،والضأن والحمير والبغال والخيل ،الكلب السلوقي ،والأرنب والقط وغيرها ...[2] ،أما فيما يخص الطيور "فهي كثيرة نذكر منها الحمام بأنواعه ،والدجاج بأنواعه ،العقاب ،الصقر ،الغراب ،البوم،والخفاش(طوير الليل) ،أما العصافير منها الزاوش،بوبشير،المكاء،والحداية..."[3] وغيرها.

[1] بن سالم بلهادف:سوف تاريخ ووثقافة،مطبعة الوليد ،الوادي،دط،2008م،ص160.

[2] ينظر:إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص79-80.

[3] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،ص13.

**الإطار التاريخي:**

ولعل أهمية هذا المبحث التاريخي من حيث علاقته بموضوع البحث ،تكمن في إيجاد تفسير لوجود بعض الثقافات الراسبة في المجتمع السوفي التي توارثتها الأجيال وذلك بسبب الأجناس المختلفة التي عمرت هذه الأرض لفترات متفاوتة وسنتناول الفضاء التاريخي بمنطقة وادي سوف عبر مرحلتين اثنين هما:

1/ مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي

2/ مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي

- **مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي:**

وجدت الحياة في المنطقة منذ العصر الحجري ومن أهم البراهين الدالة على ذلك "وجود حجارة مهذبة كثيرة في بئر غرافة وسيف فطيمة تعود للحضارة العاترية والحضارة القفصية" [1] وتشير المصادر التاريخية أن منطقة وادي سوف قد تعاقبت عليها عدة أجناس بشرية منهم البرابرة الذين سكنوا هذه المنطقة قادمين إليها من الشام ونواحي فلسطين "كانت أرض البربر الشام ونواحي فلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابرة إلى المغرب." [2] ورحلتهم في الجزائر كانت "إلى الزاب ووادي ريغ ورقلة وسوف"[3] و"سكنوا كل بلاد المغرب بما فيها التخوم الشمالية للصحراء بفرقها الكثيرة ومن أواخر القبائل البربرية التي دخلت أرض سوف قبيلة زناتة ،زوارة ،زواغة،وبنو يفرن وغيرهم و أن أكثر الأماكن الموجودة الآن تسمى بهم ومن تلك الأماكن تغزوت ،تكسبت بالإضافة إلى أسماء بعض التمور منها تفرزايت،وتكرمست،تافزوين...الخ"[4].

[1] بن سالم بلهادف:سوف تاريخ وحضارة،ص16.

[2] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص127.

[3] المرجع نفسه:ص127.

[4] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص19.

ومن الأجناس التي سكنت منطقة وادي سوف قبل الفتح الإسلامي أيضا الكنعانيون ويقول صاحب الصروف عن حلول الكنعانيين بالوادي "والذي ترجحه الأخبار عن الأوائل أن الكنعانيين بلغوا أرض سوف وما حولها .وكانت مساكنهم في وادي الجوادنية..." [1] وكذلك سكنها الرومان "أتى الرومان إلى هذه الأرض في القرن الأول المسيحي لأنهم في تلك الأوقات تسلطوا على فرنسا وافريقية" [2]. ويذكر العوامر إبراهيم في كتابه أن منطقة الوادي قد سكنها العديد من الأجناس منها الوندال والروم.

- **مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي:**

تذكر المصادر التاريخية أن الوادي قد " فتحت في عهد عقبة بن نافع الفهري الذي ولي أمر إفريقية في عام 46هـ ،وقد عين حسان بن النعمان على رأس الجيش وأمره بالتوغل في المنطقة ما بين بسكرة ورقلة بما فيها منطقة سوف ، وكان من بين سرايا المسلمين التي مكثت بالمنطقة لتلقن أهلها تعاليم الإسلام ،البعض من بني عدوان ،فكونوا النواة الأولى لوجود قبيلة عدوان العربية بأرض سوف" [3].

- **وصول بني هلال وبني سليم إلى وادي سوف:**

من المعروف والمعلوم لدى الجميع أن العرب جميعهم كانوا بشبه الجزيرة العربية وضواحيها و"نسبهم ينقسم إلى قسمين:هما عدنان وقحطان وزاد بعضهم قسما آخر وهو قضاعة والراجح أنه من ذرية معد بن عدنان" [4] ووفد بنو هلال وبني سليم إلى الوادي بعدما حدثت الحملة الهلالية التي نقل فيها بني هلال من موطنهم الأصلي حيث يذكر إبراهيم العوامر أن "الأستاذ توفيق المدني في مؤلفه كتاب الجزائر قال لما توافدت جموع بني هلال بن عامر وسليم بن منصور كان قدومهم نقمة في

[1] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص133.
[2] المرجع نفسه:ص136.
[3] المرجع نفسه:ص145.
[4] المرجع نفسه:ص150.

طيها نعمة لان قدومهم في بادئ الأمر كان اضطرابا لشمال إفريقيا ثم ما لبث و أن حولها إلى موطن للثقافة العربية والإسلامية"[1] .

ولكثرة فتنهم أخرجوا من شمال إفريقيا "وارتحلوا جميعا إلى الزاب ووادي سوف ورجع بعضهم إلى طرابلس"[2].

- **نزول عدوان وطرود بوادي سوف:**

وينحدر نسبهم كذلك إلى قيس عيلان وهو الناس بن مضر ؛فالطرود"تنسب إلى طرود بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،وعدوان تنسب إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،وكما يلاحظ يلتقي نسب طرود وعدوان في جدهم عمرو بن قيس بن عيلان"[3].

وفيما يخص قدومهم إلى سوف فقد سبقت الإشارة إلى أن أول وفد من بني عدوان قدم إلى سوف منذ بداية الفتح الإسلامي للمنطقة ،ثم التحقت الوفود الأخرى حوالي سنة 655هـ1258م وأسسوا قرية الزقم ،أما طرود فقد دخلوا إلى الوادي عام 800هـ ـ1398م وعلى الرغم من بعض النزاعات التي نشبت بين طرود وعدوان ،وزناتة بسبب التنافس الشديد على مواطن الكلأ والماء – كما كان عليه الحال بين القبائل العربية في الجاهلية– إلا أن الأوضاع كانت تؤول إلى الهدوء بشكل تدريجي ولا سيما بعد انتقال زناتة إلى ميزاب وغيرها بفعل المد السني ،ولقد حصل امتزاج بين مختلف القبائل التي كانت متواجدة بأرض سوف بسبب الولاء والمصاهرة ،وهكذا أنشأ سكان وادي سوف كيانا متجانسا في إطار الحضارة العربية مع الاحتفاظ ببعض التقاليد المحلية ذات الأصول البربرية"[4].

[1] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص164-165.

[2] المرجع نفسه:ص220.

[3] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،ص13.

[4] كمال بن عمر:الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص21.

وبناء على ما تقدم ،يتبين أن أغلبية العروش والقبائل المشكلة لسكان وادي سوف حاليا تنتمي إلى طرود ،وعدوان ،وسليم،وهلال وينسبون جميعا إلى العرب العدنانية ،ونمت حركة العروش في الوادي وتجزأت القبائل الكبيرة من بني هلال وسليم وعدوان وطرود إلى شعب أقل منها،وسميت العروش بتسميات أخرى هي الأعشاش والمصاعبة وأولاد حمد،"بيد أن هذا لا ينفي وجود بعض العشائر المنحدرة من أصول بربرية مثل الجلايصة وأولاد بوعافية"[1].

أما الزنوج فهم أقلية قدموا إلى وادي سوف "من السودان أو السينغال مع قوافل قبائل (ايفوغاس) التارقية التي حطت في غدامس ،وكان أهل سوف بترحيلهم إلى موطنهم وكان ذلك في 17 م فاشتغلوا بزراعة النخيل وتربية الماشية وعاملهم أهل سوف معاملة جيدة فلم يفر منهم أحد قاصدا موطنه الأصلي ولم يعد يربطهم به سوى احتفالهم السنوي سيدي مرزوق والرقصات والأهازيج الإفريقية التي تذكرهم بتاريخهم الغابر"[2].

- **الاحتلال الفرنسي لوادي سوف:**

وصل الاستعمار الفرنسي إلى الجنوب "فبعد احتلال منطقة الأوراس وانتقال الأمير عبد القادر من الأوراس إلى سوف توجهت القوات الفرنسية حوالي 1844م إلى منطقة بسكرة"[3]. ومن ثم إلى سوف حيث دخل العقيد الفرنسي ديغو بقواته المسلحة إلى الوادي قادما إليها من باتنة قصد استطلاع الوضع العام ،ثم انتقل إلى تقرت ليعين"سي علي باي بن فرحات" قائدا ممثلا لفرنسا في إقليم تقرت ووادي ريغ ووادي سوف ،ولم يقبل سكان سوف هذا الوضع الجديد ،بل قاوموه مقاومة شديدة بشن حروب عديدة ضد الغزاة الأجانب.

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص21.

[2] ينظر: بن سالم بلهادف:سوف تاريخ وحضارة،ص56.

[3] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص312.

ولم تتمكن قوات الاحتلال الفرنسي من دخول أرض وادي سوف إلا سنة 1882م عبر قربة الدبيلة ولم تستطع الوصول إلى مدينة الوادي إلا سنة 1887 م على الرغم من قرب المسافة بين البلدتين وهذا يعني أنها وجدت مقاومة شديدة"[1].

"فقد قام المجتمع السوفي بمعارك ثورية كثيرة قوم من خلالها الاستعمار ومنها:مقاومة بن ناصر 1860م ،مقاومة غومة( 1839م-1856م) ومقاومة أحمد بن نومي بوشوشة( 1870م-1874م) "[2].

**الإطار الاقتصادي:**

يقوم النشاط الاقتصادي في منطقة وادي سوف على مجموعة من القواعد تتماشى مع الطبيعة الجغرافية والبشرية للمنطقة ،ومع الحاجات والضرورات المعيشية للفرد والجماعة وهذه الأسس هي:النشاط الزراعي ،تربية المواشي،التجارة بشقيها المحلي والخارجي ،والصناعات التقليدية.

**أ – الزراعة:**

"وتتمحور الفلاحة على غرس النخيل منذ زمن بعيد ،فالراجح أن غراسته بدأت في حدود عام 1540م ،ولعل الانتشار الواسع للنخيل في سوف بدأ في سنة 1540م ،والمميز في غراسة النخيل هو الذكاء الخارق وابتكارهم البديع للغوط"أو "الهود" الذي تغلبوا به على صعوبة الطبيعة من حيث الجفاف والرمال ،حيث تغرس النخيل بالقرب من المياه الجوفية فتعتمد على نفسها في امتصاص الماء"[3].

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص23.

[2] ينظر: بن سالم بلهادف:سوف تاريخ وحضارة،ص134.

[3] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،ص15.

وبالإضافة إلى ما ذكر فقد اعتنى الفلاح السوفي بخدمة النخيل والاهتمام بها ابتداء من غرسها وعلفها (وهو عزق الأرض وخلطها بالسماد المتمثل في بعر الإبل الممزوج بالرمل)وتلقيحها وأخيرا جني التمور وطريقة تخزينها ،وعرفت المنطقة أنشطة زراعية أخرى لعل من أبرزها زراعة التبغ التي تصنف في المرتبة الثانية بعد التمور"[1] .

وبالإضافة إلى النخيل اهتم الفلاح في وادي سوف ببعض الزراعات الأخرى والمنتجات ذات الاستهلاك العائلي،" أما اليوم فتشهد المنطقة ثورة فلاحيه لإنتاج مختلف المحاصيل الزراعية خاصة مادة البطاطا والزيتون"[2].

**ب – تربية المواشي:**

كانت وادي سوف من الولايات الرائدة في تربية المواشي هذا الآن تربيتها "تعتمد على ما جاءت به الأرض من الأعشاب الصحراوية الرعوية المرتبطة بنزول المطر ،ولذلك كان الحل والترحال بحثا عن مواطن الماء والكلأ من ميزات البدو" [3].كما أنها تحقق الاكتفاء الذاتي عبر الاستفادة من منافعها المتعددة كالحليب ،الزبدة واللبن واللحم وعلى الصعيد الاقتصادي من خلال المتاجرة من جهة واستغلال صوفها ووبرها وشعرها في الصناعات التقليدية من جهة أخرى ،"لكن تراجع مناطق الرعي بالبوادي كما كانت عليه بفعل الاستقرار والتمدن وتطور وسائل التربية العصرية ،شهدت هذه المهنة نموا كبيرا وغدت وادي سوف قطبا من أقطاب تسمين الغنم والبقر ورافدا من روافد إنتاج الحليب واللحم والصوف"[4].

[1] ينظر: كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص29.

[2] محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،ص15.

[3] نفس المرجع:ص15-16.

[4] نفس المرجع:ص16.

**ت – النشاط التجاري:**

إن الموقع الاستراتيجي لوادي سوف –كما أسلفنا الذكر في المبحث الجغرافي- حيث تحل الوادي موقعا جغرافيا مميزا محاطا بدولتين هما تونس وليبيا ،وولايات وطنية هم بسكرة ورقلة وتبسة وخنشلة ولهذا الموقع عدة مزايا من أهمها ما يتصل بالنشاط التجاري لمنطقة وادي سوف وهو ذو شقين:

شق يتعلق بالتجارة المحلية داخل الإقليم ،وشق يتمثل في المبادلات التجارية مع الدول او الولايات المجاورة ،وتعد مدينة الوادي بسوقها الكبير الذي شيد على أطراف مسجدها العتيق وهي مركز الثقل الاقتصادي للمنطقة ،ففي هذا السوق تتم التجارة المحلية على اختلاف سلعها وتنوع أنماطها ،كما يعتبر هذا السوق "منطلقا للقوافل في عملية الاستيراد والتصدير بأنواع السلع التجارية المتنوعة وتعد وادي سوف منطقة عبور ومركز التقاء لمختلف القوافل التجارية التي تمر به قادمة من عدة جهات نفطة والجريد وقفصة بتونس ،وغدامس بالحدود الليبية ويليها من جهة ولايات الشرق الجزائري سكيكدة وقسنطينة وباتنة وبسكرة وغر ذلك من الجهات والاتجاهات التي شملت حتى بلاد السودان ...وما لهذه الحركة التجارية الواسعة من دور فعال في المبادلات الثقافية التي ينجم عنها ما يسمى هجرة النصوص وخاصة في مجال الأدب الشعبي القائم على الرواية الشفهية "[1].

**ث – الصناعات التقليدية:**

تميزت الصناعة التقليدية في وادي سوف بطابعها الاجتماعي الاقتصادي لأنها إنتاج منزلي "تتطلب المشاركة والتعاون بين الرجال والنساء وحتى الأطفال أحيانا وبما تمثله من مورد اقتصادي للأسرة يحقق لها ولإفرادها الاكتفاء الذاتي ،كما يوفر لها قدرا من المال بعد بيع المصنوعات في الأسواق المحلية أو تصديرها إلى مناطق أخرى خارج حدود الإقليم ،والمصنوعات التقليدية بوادي سوف مختلفة الأشكال والأنواع والألوان ،وتستمد مواردها الأولية من غيطان المنطقة ونباتاتها وحيواناتها ،وصخورها

[1] علي غنابزية :مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في ق13هـ 19م رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،2001م، ص84-96،(مخطوط).

ولعل أبرز الصناعات التقليدية في المنطقة :صناعة النسيج" [1]. والمصنوعات النسيجية أنواع عدة منها الزرابي،الحايك،الحولي،البرنوس،القندورة،القشابية،العراقية،العفان [2]. و إلى جانب الصناعات النسيجية وجدت صناعات تقليدية أخرى بوادي سوف كالصناعات الجلدية بمنتوجاتها المتنوعة مثل:القربة،الركودة،الدلو،الرقعة [3]. ومن الصناعات القديمة المعروفة بالمنطقة :صناعة الجبس الذي يعد المادة الأساسية في البناء بالنسبة للمجتمع السوفي القديم[4].وقد اشتهرت وادي سوف بفن النقش على الجبس خاصة في المساجد والزوايا ،ومن أشهر الصناعات التقليدية بالمنطقة أيضا الصناعات المعتمدة على اجزاء النخلة والتي تمثل لها المادة الأولية مثل صناعة السعف الذي تصنع منه عدة أواني وأدوات منها :المروحة،المظلة،القفة،قفة الرمل(الزنبيل) ،الحصيرة السجاد [5]،ومن الصناعات الأخرى تشكيل الحديد ومن أهم المصنوعات :الفأس،الشفرة،الموسى، المطرقة ...وكذلك صناعة تشكيل الذهب والفضة فهي جد مزدهرة في وادي سوف ،والمرأة بهذه المنطقة تبذل قصارى جهدها للحصول عليها وأهمها:المقواس،المسايس،الخواتم،الخلخال....[6].

**الإطار الاجتماعي والثقافي:**

إذا كانت الثقافة الشعبية هي خليط بين الثقافتين الروحية والمادية ،وكل عادات وتقاليد أي مجتمع تعتبر نتاجا اجتماعيا أي من إنتاج أفراد المجتمع ،فهي إذا تعبر عن ثقافته التي اكتسبها وتوارثها عن أجيال سابقة ،وما دام الإطاران الاجتماعي والثقافي متداخلين فقد أثرنا أن نجمع بينهما.

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،ص32.
[2] ينظر: بن سالم بلهادف:سوف تاريخ وحضارة،ص172-173.
[3] إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،ص107.
[4] المرجع نفسه:ص107.
[5] ينظر: بن سالم بلهادف:سوف تاريخ وحضارة،ص177.
[6] ينظر المرجع نفسه:ص 176-177.

وتتمثل أهمية دراسة الإطار الاجتماعي والثقافي في معرفة أصول النظام الاجتماعي ،وأنماط العلاقات التي تحكم المجتمع السوفي والمناسبات والنشاطات الثقافية وبعض المأكولات الشعبية وطريقة اللباس الشعبي ،إضافة إلى العمران وطريقة البناء التي تميز المجتمع السوفي.

1 - **بعض عادات وتقاليد المجتمع السوفي** : المجتمع السوفي قديما كان تقليديا،يعتمد على العائلة في كل شيء والعائلة في هذا المجتمع هي مجموعة من العادات والتقاليد ومن أبرزها تلك المتعلقة بالزواج والختان ،ولا يسعنا المقام هاهنا للتفصيل والإفاضة فيما يتعلق بالأعراف والعادات وإنما غايتنا أن نوضح بعض جوانب هذا الموضوع.

- **الزواج:** إن أول شرط في الزواج قديما هو القرابة والمبادلة وتسمى هذه الأخيرة قصة بقصة باللهجة السوفية ،فابنة العم هي الأقرب للزواج من باقي الفتيات وهناك مثل سائر قديما في هذا الصدد يقول:( بنت العم ولو بارت،والثنية ولو دارت،والمدينة ولو جارت)،وفي اعتقادهم أنهم يحافظون على صلة الرحم الواحدة ونقاوة الدم ،والثروة بحيث يبقى العرش صافيا ولا يختلط بالعروش الأخرى ،ولا يكون الزواج من العائلات الغريبة عن العرش إلا في حدود ضيقة،وإذا ما حدث تظل الزوجة منبوذة إذا صح التعبير ويسمونها (البرانية)[1].

وتعتبر الخطبة هي الخطوة الأولى في الإعداد للزواج ،وكان الشاب السوفي لا يرى الفتاة غالبا إلا في حفلات الأعراس عندما تقوم الفتيات برقصة النخ[2].أو "عند ورود الآبار ،سواء لجلب الماء أو لسقاية الماشية... وهي كلها فرص مفتعلة من قبل المجتمع لاختلاط الشبان بالفتيات من اجل التعارف والخطوبة "[3] فيعجب الشاب بفتاه ويبعث أهله لخطبتها.

وتختلف مظاهر الاحتفال بالزواج في المجتمع السوفي من منطقة إلى أخرى ،ومن زمن إلى آخر فمنذ زمن بعيد كانت مظاهر الاحتفال تدوم سبعة أيام.ويتكافل الأهل والأصدقاء بتقديم المساعدة

[1] ينظر: عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، (دط)، 1986م، ص16.

[2] النخ:وهي رقصة تقوم بها الفتيات ،وذلك بفرد ونشر شعورهن بعدها يبدأن في هزه ليتطاير يمينا وشمالا.

[3] أحمد زغب:جمالية الشعر الشفاهي،رسالة دكتوراه،مخطوطة جامعة الجزائر،2007م، ص83-84.

للعريس من مال وذهب ومواد غذائية وكباش وغيرها،ويقام العرس على أنغام الزرنة والبندير وهو ملئ بالعادات والتي منها :" ما سجلت الكاتبة إيزابيل ابيرهارت في يومياتها إحدى العادات السوفية اللافتة وهي أن العروس فور إنزالها من الهودج أو "الجحفة" باللهجة السوفية –يحملها أحد أقربائها على ظهره إلى بين الزوجية ،أما العريس فلا يمكنه أن يرى زوجته الجديدة إلا ليلا،إذ يدخل عليها بعد المغرب ليغادرها قبل الصبح ويستمر ذلك على مدار الليالي السبع الأولى من الزواج."[1]

- الختان: عادة ما يرتبط الختان بالمناسبات الدينية خاصة بعيد المولد النبوي الشريف ،إذ تستعد العائلة لهذا الاحتفال بتحضير اللوازم،وتدوم احتفالات الختان قديما ثلاثة أيام تقام خلالها عدة عادات وتقاليد بدءا باليوم الأول وهو يوم الراية(الراية وهي تناول عصا لجريد النخل طولها حوالي متر ونصف متر ،وتربط فيها خيوط حمراء وخضراء وبيضاء) ويجتمعن النساء ليرفعن الراية تحت أغاني وأهازيج منها

سبقت ربي والصلاة على النبي  من سبق الله يا محمد يا علي

سبقناك وما سبقانا حد معاك  هـــــــــا يـــــــا ربي

وفي اليوم الموالي وهو يوم الجلاب ويحضر بالبخور الأصفر ؛ذلك بعقدة داخل ستة صرات أما السابعة فتكون من الكمون وذلك لإتمام العدد سبعة ؛لما لهذا العدد من حضور دائم لدى المجتمعات الشعبية ،وتبخ هذه الصرر بالزعفران والريحة وتربط بخيط أحمر ويعلق في رقبة الطفل بعدما يلبس القدوارة وفي هذه الأجواء النسوة يرددن أهازيج متعلقة بالمناسبة ،وفي اليوم التالي يأتي الطهار إلى البيت ليختن،تقدم بعض المأكولات الشعبية كالكسكسي والعصيدة.

ومن العادات والتقاليد في مجتمع وادي سوف أيضا ،تلك المتعلقة بمظاهر التعاون والتضامن ،والتكافل الاجتماعي ومن صورها ما يعرف ب نظام"العوانة" وهناك صور أخرى للتكافل الاجتماعي بين الأفراد منها "الزكاة" التي يطلق عليها في المنطقة اسم"العشور" .إلى جانب ما ذكر مارس أهل

[1] كمال بن عمر:الألغاز الشعبية السوفية ،ص25.

سوف جملة أخرى من العادات والتقاليد المرتبطة بمواسم ومناسبات مختلفة لا يتسع المقام لذكرها جميعا كالولادة أو مناسبات دينية كرمضان ،والمولد النبوي الشريف وعاشوراء وغيرها [1].

وبخصوص بعض العادات المتعلقة بالولادة ما ذكره روجيه فوزان أن المولود إذا كان ذكرا يستبشر به الجميع ،وينال نصيبه كاملا من زغاريد النساء أما إذا كان أنثى ،فالحدث يمر في صمت ،كما قد تتعرض المرأة للطلاق إذا كان عقيما ،أو تنجب البنات فقط ،ومن التقاليد المرتبة بالمناسبات الدينية إحياء ذكرى عاشوراء ،والذي يحتفل الناس في لياليها بإقامة مهرجانات فيها الغناء وقول الشعر ممتزجة بالألعاب والتمثيل الفلكلوري ،كما يتم الترسعة على الحبال بشراء الأطعمة المختلفة وخاصة اللحم[2].

## 2 – الأزياء و الحلي لدى أهل سوف :

تمثل الأزياء مظهرا اجتماعيا معبرا، كما تعكس نمطا حضاريا مميزا في المجتمع السوفي القديم « و من أبرز الملبوسات القشابية، القدوارة، القميص، السروال العربي، و الحولي، و البخنوق و العفان، و العراقية، و غيرها »[3].

و إلى جانب الأزياء نجد الحلي المصنوعة من الفضة و الذهب و هي « المشرف و يوضع في الأذن، مساك الشعر من الذهب، الشنقلات: و توضع على الشعر و تتأرجح على الإذنين، الخلخال: يصنع من ذهب أو فضة و يلبس في الرجلين، الأساور(مسايس)، و النبايل و تلبس في المعصم و الخواتم »[4].

أما اليوم فقد تأثرت الأزياء و الحلي بثقافات أخرى من داخل الوطن و خارجه .

[1] ينظر:كمال بن عمر:الألغاز الشعبية السوفية ،ص26.
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص26.
[3] بن سالم بلهادف: سوف تاريخ وثقافة، ص172.
[4] المرجع نفسه:ص142.

### 3 – الأطباق السوفية :

في القديم كان السوفي يعكس المثل القائل:( يأكل ما حضر و يلبس ما ستر ) و كان يشقى و يعاني و يصارع الطبيعة و يتحدى طابعها القاسي فقط ليجد ما يأكل، و ما يلبس، و ما يسكن « فالأولون من أهل الصحراء و سوف كانت معيشتهم لحوم الأغنام (الإبل و الغنم )، و ألبانها و لحوم الوحوش و قد قال عنهم ابن خلدون : أنهم يفتقدون الحبوب و الأدم و أغذيتهم و أقواتهم الألبان و اللحوم... ثم حين جعلوا النخيل صاروا يأكلون من تمرهم و يجلبون الحبوب من الزاب... و كانوا يطبخون الكابو مع الفلفل و يسمونه هبيتة ثم بعد ذلك صار أغلب القوت في النهار التمر و معه الرضخة أو الفقوس أو الدلاع أو الدوبارة و هي ماء الفول أو الحمص مع الفلفل و الرمان، و التمر غالبا ما يأكل مع الدشيشة أو الحساء، و من قوتهم الرغيدة و في الليل أغلب قوتهم الكسكسى؛ و هذه مخلفات البربر الذين يمتازون (بأكل الكسكسى، و لبس البرنس و حلق الرأس) أو يأكلون البوتشيش »[1].

و على كل حال معظم الأكلات السوفية قديما من مشتقات الطحين، و هي كثيرة مثل « البركوكش، السفة، العصيدة، الزميتة، الكسرة، الرخساس، الملاوي، الرقاق، المطابيق، كسرة الملة و الرفيس. »[2].

لكن الان و في ظل التطور السريع ابتعدت العائلات السوفية على أساسيات المائدة القديمة، و قلة هي العائلات التي تحافظ على بعض الأكلات الرئيسية مثل تناول الكسكسي في الليل . أما ما يخص المشروبات الشعبية في وادي سوف فنذكر منها اللاقمي وهو سائل تفرزه النخلة يغذي الجسم ويبعث فيه النشاط . وأيضا الوزوازة وهو مشروب يتكون من مجموعة أعشاب صحراوية تخلط بطرق خاصة

[1] إبراهيم العوامر : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ص 91-93 .
[2] المرجع نفسه:ص 94-95.

مع التمر وهو المشروب الأكثر رواجا خاصة في الصيف [1] . كما يوجد مشروب الشاي الذي له مكانة خاصة في جلسة كل عائلة عند الظهيرة .

## 4 – الهندسة المعمارية في وادي سوف :

إن الناظر لمدينة الوادي من مكان مرتفع ، يرى آلاف القباب والأدماس تعلو سقوف منازلها ومحلاتها التجارية لذلك قالت عنها إزابيل إبراهاردت أنها مدينة الألف قبة وقبة ، ولهذه القباب والأدماس عدة مزايا ووظائف تتلاءم مع الطبيعة الصحراوية للمنطقة منها : نشر الأتربة وبعثرتها خشية لتجمعها على السطح ، توزيع أشعة الشمس الحارة لما يخفف من حدتها حتى لا تسلط على مساحة واحدة ، وتحسين درجة الحرارة داخل البيت بما يتجه تجويف القبة أو الدمسة بمزيد من الهواء والضوء[2].

## 5 – لهجة أهل سوف :

« إن أهم العوامل التي تسهم في تشكل لهجة ما ، هي :

1- انعزال المنطقة التي استقرت فيها جماعة الناطقين باللغة عن غيرها من المناطق والبيئات التي يقيم فيها الشعب الواحد .

2- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجران .

3- عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وشكلها وموقعها .

4- عوامل شعبية مرتبطة بالفروق في الأجناس والفصائل الإنسانية وأصول السكان وسلالاتهم[3].

---

[1] ينظر: بن سالم بلهادف: سوف تاريخ وثقافة،ص164.

[2] ينظر : إبراهيم العوامر : المرجع نفسه ، ص : 99 ، 103.

[3] أحمد زغب:لهجة وادي سوف(دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث)،مطبعة مزوار،الوادي،ط1 ، 2012م، ص21.

ونرى أن العوامل السابقة أسهمت بالقدر الأعظم في تشكل لهجة سوف ، وللهجة السوفية جملة من الخصائص تتجلى في المستويات الصوتية ، والصرفية ، والتركيبية ، والدلالية ، «ولعل من أبرز الظواهر اللسانية التي تشترك فيها هذه المستويات المذكورة هي ظاهرة الاقتصاد اللغوي »[1]التي رصدها بعض الباحثين في لهجة المنطقة وتتجلى أكثر على المستوى الصوفي من خلال الإدغام والإمالة ، والقلب ، والإبدال ، والحذف وغيرها من الظواهر الصوتية . والاقتصاد اللغوي عملية لسانية يلجأ إليها المتعلم بأي لغة كانت ، لأن الإنسان ميال بطبعه إلى الاقتصاد في عملية التبليغ ، ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي تخفيف الهمزة فمثلا كأس تصبح كاس . بئر تصبح بير أو حذفها في وسط الكلام مثل الأمين تصبح لمين ، ومن أمثلة إدغام اللّام الساكنة في النون المتحركة التي تليها نجد أَهْلُنا تصبح أَهلَّنا ، أما الإمالة فمنها الخفيفة والشديدة ، ومن أمثلة الأولى : تحويل الفتحة إلى كسرة إذا لحقتها ياء مد مثل الكراء تصبح الكري ، والدواء تصبح الدوي ، وأما الإمالة الشديدة ، فتقع غالبا في الأسماء الممدودة مثل : الماء ، العشاء ،السماء ، فتنطق المي ، العشي ، السمي[2].

أما المستوى الصرفي ما نلاحظه في مثل هذا التركيب حذف اسم الإشارة (ذا) والاكتفاء بالهاء للتشبيه طلبا للتحقيق وتحقيقا للانسجام الصوتي ، [3] والخصائص اللسانية للهجة وادي سوف كثيرة وعديدة لا يسعنا المقام لذكرها ولكن نكتفي بهذا القدر ، ولقد توصل الباحثون في لهجة المنطقة – بعد دراسة خصائصها اللسانية – إلى نتيجة هامة مفادها أنّ لهجة أهل سوف تعد من أقرب اللهجات العربية الجزائرية إلى اللغة العربية الفصحى وفي هذا السياق ، ذكرت الباحثة ثريا التجاني عدة أسباب تفسر التقارب الكبير بين اللهجة المحلية الفصحى منها عزلة المنطقة وضعف التأثير التركي والفرنسي عليها ، كذلك الأصل العربي للسكان ، وتمسكهم القوي بالدين والثقافة الإسلامية

[1] كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف،ص39.

[2] ينظر: أحمد زغب:لهجة وادي سوف،ص25-26.

[3] ينظر: المرجع نفسه:ص : 32 .

وانتشار الكتاتيب القرآنية .....الخ [1]. ويذهب الباحث أحمد نجاح إلى وجود تقارب كبير بين لهجة المنطقة ولهجة أهالي طرابلس بحكم عوامل جغرافية وتاريخية[2].

## 6 - الأدب الشعبي في وادي سوف :

الأدب الشعبي بطبيعته الاجتماعية يعتبر مرآة عاكسة للمجتمع وبما فيه من خصائص اجتماعية ودينية وثقافية فهو حقيقة مرآة عاكسة لكل ما يميز الفرد السوفي . «والمجتمع في وادي سوف بطبيعة تكوينه وامتداده التاريخي لم ينساق وراء تيار الحداثة ، وإن حدثت فيه بعض التغيرات والتطورات المدنية الحديثة . فإن حداثته تكاملت مع أصالته فلم يخرج عما تعارف بينه من أعراف وتقاليد »[3].

وهذا بفضل الجهود الواضحة للباحثين في مجال الأدب الشعبي الذين أخذوا على عاتقهم المحافظة على كل موروث من الاندثار . والأدب الشعبي في وادي سوف متنوع وكثير وله رواد وهواة ومحترفون وباحثون ، ومن أهم أصنافه : الشعر الشعبي ، القصة والحكاية الشعبية ، والأمثال الشعبية ، الألغاز الشعبية ، والأغنية الشعبية .

### الإطار الديني :

عندما نتحدث عن الدين في وادي سوف لا بد أن نربطه بالمساجد والطرق الصوفية التي لها دور كبير في توجيه الإنسان السوفي وهي كثيرة نذكر منها : القادرية ، والتجانية ، والعزوزية ، والوهابية وغيرها ، لكن الأبرز في وادي سوف هي الطريقة القادرية ، والطريقة التجانية ، والطريقة العزوزية .

---

[1] ينظر : كمال بن عمر : الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف ، ص: 39 .

[2] محمد بوذيبة: الحكاية الخرافية في منطقو وادي سوف مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير، جامعة مسيلة ، 2014 ، ص ، 25 (مخطوط ) .

[3] محمد الصالح بن علي : الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ، ص 17.

**أولا : المساجد :**

« لقد ارتبط تشييد المساجد وإقامة الجوامع في المجتمع السوفي بتطور الحياة الفكرية ، ورسوخ المبادئ الدينية منذ قرون بعيدة ، عندما شيد مسجد الشيخ العدواني بالزقم الذي فاق زمن تأسيسه الثمانية قرون ويقال أنه أول مسجد أسس بمنطقة سوف ... كما ارتبطت بعض المساجد بالطرق الصوفية فاتخذت زواياها مساجد للصلاة والذكر وقراءة القرآن الكريم »[1] .

**ثانيا : الطرق الصوفية :**

1. **الطريقة القادرية** : « وهي أقدم الطرق الصوفية ، أسست في القرن الرابع هجري بالعراق على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الذي ألف عدة كتب وأحزاب سماها الصلوات الصغرى والصلوات الكبرى »[2] ولاقت طريقته في العبادة انتشارا واسعا ، « وكان وصولها للجزائر بفضل الشيخ أبو مدين الغوث الجزائري بعد ما التقى بشيخ الطريقة بمكة المكرمة وأخذ عليه الطريقة وعند عودته إلى الجزائر ، مرّ بتونس ونشر بها الطريقة ثم إلى الجزائر ، أما بسوف فدخلت الطريقة عن الشريف أبي بكر بن محمد الشريف من تونس الذي أسس مركزين هامين أحدهما بالرويصات بورقلة والآخر بعميش بسوف »[3] وهي موجودة إلى حد الآن بالبياضة .

2. **الطريقة التجانية :**

وقد ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر على يد مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد الشريف التجاني الذي أمر مريديها بتأسيس زاوية بقمار عام 1789م ، وهي أول زاوية تجانية بوادي سوف ، والشيخ محمد العروسي التجاني .

---

[1] أحمد الطاهر المنصوري : الدر المرصوف في تاريخ سوف ، ج2 ، دار الهدى ، الجزائر نط ، دت ، ص 50.

[2] بن سالم بلهادف : سوف تاريخ وثقافة ، ص 73 .

[3] المرجع نفسه :ص 73.

### 3. الطريقة العزوزية :

وصلت إلى وادي سوف وانتشرت على يد مؤسسها الشيخ بن عزوز البرجي ومن أبرز شيوخ الطريقة الشيخ سالم العايب[1] وابنه الشيخ مصباح بن سيدي سالم[2].

« وقد قدمت هذه الطرق الصوفية – على اختلاف توجهاتها – عدة خدمات تعليمية واجتماعية للسكان غير أن رجال وأتباع جمعية العلماء الجزائريين سجلوا ضدها بعض المآخذ مما جعلها تتعرض في النصف الأول من هذا القرن لانتقاد الحركة الدينية الإصلاحية التي حاول رجالها اقتلاع بعض هذه المعتقدات من أذهان الناس ، أو تجريدها من من الكثير من مظاهرها معتمدين على نصوص القرآن والسنة في محاربة ما أسموه البدع والخرافات والخزعبلات، إذ أنهم يعدونها خروجا عن العقيدة الإسلامية»[3].

– أما المعتقدات الشعبية فيأتي في مقدمتها الاعتقاد بالأولياء الصالحين بتأثير « قصصهم المنسوخة حول كراماتهم وهي نوعين : يتمثل النوع الأول في القصص المروية حول كرامات أقطاب المتصوفة المعروفين مثل : الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ أحمد التجاني ، أما النوع الثاني فهو عبارة عن قصص محلية تنفرد كل قرية أو مدينة أو منطقة ، بقدر منها : يدور حول كرامات أولياء محليين من أبناء البلدة أو الجهة»[4].

"ومن المعتقدات الشعبية الشائعة لدى سكان وادي سوف أيضا ما يتعلق بعوالم الجن والعفاريت وقدراتهم الرهيبة وتأثيرهم الكبير على الإنسان ،و أن هناك بعض الأولياء الصالحين يملكون القدرة على التحكم في الجن ،كما يشيع الاعتقاد في السحر وممارسته وتطلق على السحرة والساحرات عدة تسميات منها: الطالب والعزام،والقزانة والتقازة والشوافة" [5]. و إلى جانب الاعتقاد في الأولياء

---

[1] يطلق عليه سيدي سالم : وإلى هذا اللقب تنسب الزاوية ومكتبتها التي تحوي عددا من الكتب التراثية.

[2] ينظر : بن سالم بلهادف : سوف تاريخ وثقافة ، ص 73 .

[3] عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، دط ، 1986 ، ص 22 .

[4] عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2011 ، ص 127.

[5] ثريا التجاني :دراسة اجتماعية للقصة الشعبية ،ص43.

والجن،والسحر عرف عن أهل سوف اعتقادهم الكبير في الأشباح :كالغول والنيد والمصورة بالإضافة إلى الخوف الشديد من العين الحاسدة" [1]. ،"وتعتبر هذه المعتقدات رافدا ثقافيا هاما يمارس تأثيره الفكري والخيالي،والوجداني ، والسلوكي في حياة الفرد والجماعة على حد سواء ،ذلك أن المعتقدات الشعبية تمثل جانبا مهما من جوانب الثقافة التي يتلقاها الفرد ،ويمارسها داخل التجمعات... ومن وحيها يتشكل سلوكه ،وفلسفته في الحياة ،وتصوره للعالم الخارجي،وعالم ما وراء الطبيعة"[2].

- **دور الدين في ثقافة أهل سوف:**

بناء على ما تقدم يمكننا أن نقدم لمحة مختصرة عن دور الدين في المجتمع السوفي ،فإذا كان أساس الثقافة يتمثل في جملة من المعتقدات والقيم —لدى أهل سوف– مستمد من الدين الإسلامي و إن علقت بها —في بعض الفترات التاريخية– بعض الشوائب من البدع والخرافات ،وأثار الثقافة الدينية واضحة وجلية في حياة سكان وادي سوف ،نبتدئ على مستوى السلوك الفرد والاجتماعي عبر الأقوال والأفعال والأحوال ،فاللغة عندنا مشبعة بالعبارات الدينية ،ومن أشهر العبارات المستعملة البسملة والحمد لله.والحوقلة والصلاة على النبي واستغفر الله،"بالله"،""،"لا إله إلا الله" ،"إن شاء الله"،"بإذن الله"،"بحول الله"،" ربي يهديك"،"ويتوب عليك"،"ربي يعاون"،"الله يعينك"...الخ"[3].

"والحق أن التمسك القوي بالدين ومبادئه لدى سكان وادي سوف غدا من الحقائق المقررة التي يشهدها كل من درس تاريخ المنطقة،أو عايش أهلها ،كما يذكر الدكتور نجاح بان روح التدين المهيمنة على المجتمع السوفي كانت لها آثار جلية ونافعة على المستوى الفكري والثقافي للسكان. ويعد التعليم الديني احد الروافد الأساسية المغذية للثقافة الدينية ويتحقق حدها الأقصى–لدى أهل سوف– عن طريق الالتحاق بجامع الزيتونة بالقطر التونسي الشقيق المجاور لوادي سوف ،أما حدها الأدنى

[1] علي غنابزية:مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية،ص144.

[2] عبد الحميد بورايو:القصص الشعبي في منطقة بسكرة،ص21.

[3] كمال بن عمر :الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف ،ص33.

فيتمثل في تحفيظ القران الكريم في المساجد والزوايا ،إذ لا يكاد يخلو حي من الأحياء من مدرسة قرآنية وذلك بسبب قدسية القران الكريم عند سكان سوف الذي يعدونه محور التعليم والتثقيف"[1].

[1] كمال بن عمر :الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف ،ص35.

## ثالثا: الشعر الشعبي دراسة نظرية

قبل التطرق لدراسة مفهوم الشعر الشعبي نرى أنه من الضروري أولا أن نحدد مفهوم الأدب الشعبي عامة باعتباره يشمل جميع أشكال التعبير الشعبي.

### 1 – مدخل إلى الأدب الشعبي:

الأدب الشعبي هو الوسيلة التي تعبر بها الأمم عن خلجاتها النفسية واهتماماتها الروحية بكل حرية وطلاقة وعفوية ؛فالأدب الشعبي هو التعبير الفطري الصادق عن أحلام الأمة وآمالها وآلامها في الحياة،فهو لسان حالها في كل الأحوال والظروف والأماكن ،وكلمة الأدب الشعبي مكونة من شقين هما أدب وشعب.

***كلمة الأدب** :وكما هو معروف فإن كلمة أدب تعددت تعريفاتها واختلفت باختلاف المدارس الأدبية والوظائف النفسية والجمالية والاجتماعية...التي يؤديها هذا المصطلح ،والأدب هو:" ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر صادر عن أديب أو شاعر ،وخاضع لمنطق لغوي فني معين"[1] .

***كلمة شعبي**:صفة مشتقة من الاسم الموصوف(الشعب)،وقد اختلف مفهومها من مجال إلى آخر ومن باحث إلى آخر فهو:"ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب أما في شكله أو مضمونه،وأي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب أو أنها ملك للشعب"[2].

وعموما الشعبية هي صفة لكل إبداع فكري مرتبط ارتباطا عضويا بالآم وآمال الشعب.

[1] سعيدي محمد :الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ،سلسلة دروس جامعية ،بن عكنون الجزائر( دت)،دط ،ص09.
[2] المرجع نفسه:ص 09.

وارتبطت كلمة الشعبي بالأدب هنا لتخصصه (الأدب) وانحصاره في نطاق الشعب وكما يقول عبد الحميد يونس:"... فالأدب الشعبي ،إذن هو القول الذي يعبر به الشعب عن مشاعره وأحاسيسه إفرادا وجماعات ،فهو من الشعب و إلى الشعب ،يتطور بتطوره ،وهو غذاؤه الوجداني الذي يلائمه كل الملائمة وليس ينفعه غيره ،وهو يمتاز عن سواه بسمات نجدها في سائر أنواعه وأقسامه التي تناقلتها الأجيال ويعتز بها المواطن والشعوب."[1].

إذن فالقول السابق يذكر مجموعة من الخصائص التي تميز الأدب الشعبي عن غيره فهو الذي ينقل لها خلجات الأفراد ومشاعرهم بكل صدق ،ولذا فهو يحفظ ويتناقل جيلا عن جيل ،وكاتب الأدب الشعبي فرد ولكنه ناطق باسم الجماعة معبر عن لسان حالها وهذا ما تؤكده نبيلة إبراهيم في قولها:" أما الأدب الشعبي فهو ينبع من الوعي واللاشعور الجمعي... وهل من المعقول أن الشعب كله يمكن أن يجتمع ليؤلف أسطورة أو حكاية خرافية... ولم يبق سوى أن نفترض الأصل الفردي للإنتاج الأدبي . وهذا الفرد الخلاق لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن الجموع ،وإنما يعيش حياة شعبية صرفا." [2]

فهذا التعريف ينفي قضية التأليف الجماعي للنص الشعبي، ذلك أنه ليس من المعقول أن يجتمع الشعب كله ليؤلف أسطورة... ولكن أرجعت ذلك لطبيعة المبدع الذي يعيش حياة جماعية مع الناس فهو يشعر بما يشعرون ولكنه لما أوتي من ملكة الأدب،فهو لسان حالهم والناطق عوضا عنهم.ويرى حسين نصار أن الأدب الشعبي هو:" الأدب المجهول المؤلف ،العامي اللغة،المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية"[3].

[1] عبد الحميد يونس :الهلالية في تاريخ الأدب ،القاهرة،(دط)،1982،ص10-11.

[2] نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار النهضة ،مصر،القاهرة،(دط)،(دت)،ص04.

[3] حسين نصار:الشعر الشعبي العربي،بيروت،لبنان،ط2 ، 1980م، ص 11.

فهذا التعريف أقصى من مملكة الأدب الشعبي كل الأعمال الأدبية العامية المعروفة المؤلف والتي لم تتوارثها الأجيال مشافهة مهملا كل ما وصلنا مدونا،ويركز هذا التعريف على ثلاث صفات للأدب الشعبي؛ أولا أن مؤلفه مجهول غير معروف وحتى و أن عرف فإنه بمرور الوقت ينسى، ويصبح قائل هذا الأدب مجهولا ،ثانيا:لغته عامية وهي اللغة المتداولة في الأوساط الشعبية وذلك حتى يفهم ويكون قريبا لأذهان العامة ،وثالثا: هو التوارث جيلا عن جيل عن طريق المشافهة وذلك في غياب الكتابة ووسائل الإعلام الحديثة.

وبعد أن قدمنا عدة تعريفات للأدب الشعبي مختلفة ومتضاربة أحيانا وذلك لطبيعة المادة الشعبية وغناها وتشعبها يمكننا أن نوجز هذه التعريفات في ثلاثة اتجاهات:

**1* الاتجاه الأول:**

يركز أصحاب هذا الاتجاه على مميزات الأدب الشعبي فهو:" أدب عاميتها التقليدي الشفاهي ،مجهول المؤلف ،المتوارث جيلا عن جيل"[1].ويذكر هذا التعريف الخصائص الأربعة للأدب الشعبي والتي تشكل العناصر الأساسية له:

1-عامي التعبير 3-تقليدي النشأة

2-مجهول المؤلف 4-متنقل مشافهة

**2*الاتجاه الثاني:**

ركز أصحاب هذا الاتجاه على اللغة (وسيلة التعبير) التي يكتب بها الأدب الشعبي ويعرف الأدب الشعبي لأي أمة من الأمم بأنه أدب عاميتها[2] .

[1] سعدي محمد :الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،ص09.

[2] ينظر: المرجع نفسه:ص11.

والتركيز على خاصية واحدة من خصائص الأدب الشعبي فيه تضييق لمفهومه والاقتصار على جانب واحد من جوانبه.

**3*الاتجاه الثالث:**

اهتم أصحابه بالمحتوى (المضمون) أي محتوى النص في الأدب الشعبي بغض النظر عن اللغة والمهم أنه يعالج قضايا المجتمع ويعبر عن آمال وآلام الشعب ويعكس طموحاته إذن يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأدب الشعبي هو الحامل لهوية الأمم وهو الوعاء الفني الجمالي لروح الشعب.

فقد أهمل أصحاب هذا الاتجاه (المؤلف،وسيلة التراث،اللغة) فهذه الخصائص لم تعد في نظرهم مقياسا كافيا لتحديد مفهوم الأدب الشعبي ولكن الأهم عندهم هو المضمون ،العنصر الثابت بثبات الشعب أما العناصر الأخرى فهي متغيرة وفي حركة دائمة بينما الشعب بأحاسيسه وأفكاره وتطلعاته قطب ثابت في إنتاج الأدب الشعبي[1].

إن هذه التعريفات للأدب الشعبي رغم تعددها وتباينها إلا أنها تتحدد في محور دلالي تعريفي ثابت.على الرغم من أننا عرفنا أنه من الصعب ضبط تعريف دقيق للأدب الشعبي لذا فإنه يستعار عن ذلك بجملة من مواصفات مميزة له، إذ يقول في ذلك محمود الذهني:" وإذا عز علينا تعريف الشيء فإننا نستعيض عن ذلك بذكر الأوصاف المميزة له والتي يكون مجموعها بمثابة التعريف به،تاركين تلك التي تشاركه فيها غيره."[2]. وهذه الأوصاف هي:

1/ **اللغة** : يمتاز الأدب الشعبي بلغة معينة من الصعب وصفها وتحليلها ولكنها على وجه القطع ليست عامية ،وعلى أساس الترجيح فصحى راعت السهولة في إنشائها ،وإمكان إعطائها في القراءة مع قدرتها على المشاكلة ،بحيث أصبح كل فرد يحس بها كما لو كانت لهجته المحلية الخاصة ،وبحيث

[1] ينظر: سعدي محمد :الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،ص11.

[2] محمود الذهني :الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه)،دار الاتحاد العربي للطباعة،القاهرة،مصر،(دط)،1972،ص 78 .

احتفظت بكيانها في كل وقت وفي كل زمن فلم يؤثر عليها التحول من عصر إلى عصر ولا ما يطرأ على اللهجات من تطورات ،تلك هي لغة الأدب الشعبي وهذا أقصى ما نستطيع أن نصفها به.

2/ **الموضوع** : إن موضوع الأدب الشعبي عام ،بحيث يمس كل فرد من أفراد الأمة ،وخاص بحيث يحس كل فرد بأنه موضوعه الشخصي الذي يهمه وحده أولا قيل أي شخص آخر،فموضوعات الأدب الشعبي بقدر ما تبدو بسيطة في مظاهرها بقدر ما تكون عميقة في شمولها ،أو بمعنى آخر يمكن القول بأنها تنجح دائما في أن تمس المشاعر الإنسانية العامة ،بحيث نستطيع أن نرى فيها صور أنفسنا وقضايا عصرنا مهما بعد الزمن بيننا وبين نشأتها أو أول وجودها.

3/ **الشكل الفني**: يعتبر الأدب الشعبي قمة الوعي الفني في هذه الناحية فهو لا يحدد لنفسه شكلا معينا ،ولا يأنف أن يستعير لنفسه أي شكل يجد فيه تحقيقا لأهدافه ومراميه ،أو يجد انه مناسب للمقام[1] .

وبعد أن تطرقنا إلى مفهوم الأدب الشعبي وخصائصه الفنية لا بد أن نعرف أن للأدب الشعبي أشكالا مختلفة منها: السير الشعبية ،والأساطير والملاحم،والحكايات الشعبية بأنواعها والأمثال والألغاز والأغاني الشعبية (الشعر الشعبي) والتي هي محل دراستنا ،فما مفهوم الشعر الشعبي وما هي أهم تسمياته ؟ ومتى ظهر هذا الشعر في الأدب المغربي والجزائر خاصة ؟وما هو هذا الدور الذي أداه هذا الشعر؟ وما هي الأغراض التي نُظم فيها؟ هل هي نفسها التي نُظم فيها الشعر الفصيح؟

لعل هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الإجابة عنها والتطرق لها في ثنايا هذا الفصل.

[1] محمود الذهني :الأدب الشعبي العربي،ص79-82.

## 2 – مفهوم الشعر الشعبي:

يعتبر الشعر الشعبي من أغزر أشكال التعبير ،وهو ذاكرة الشعوب وسجل أحداثها في كل عصر وهو بدوره تعددت تعريفاته فكل يعرفه بالنظر إلى جانب معين.

فالشعر أقدم الفنون الأدبية ،يعرفه ابن منظور بقوله كلمة شعر تعني في الأصل"علم" شعرت بع بمعنى علمت به ومن ثم يكون الشاعر بمثابة العالم[1].

إن"ديوان العرب" يسير إلى جانب هذه المأثورات الشفاهية كالمثل الشعبي والحكاية و(البوقالة) والقصص الشعبي ،فيسجل بطولاتها مع كل ما أوتيت من عوامل متداخلة تشكل نسق الحياة الاجتماعية والتاريخية وقد كان الشعر الشعبي ولا يزال يحتل الصدارة بين هذه الفنون الشفاهية يصوغ البعض له تعريفا على أنه ذلك الشعر مجهول المؤلف ،لكنه إلى جانب ذلك اقرب ما يكون إلى نفس المبدع ،يجري على لسانه عفويا فيصور فيه الحدث وفق ما تدعو إليه المبادئ والقيم الإنسانية والتي كان دائما يرى أن قوامها الدين الإسلامي والأخلاق[2].

"ويعتبر الشعر الشعبي المجسد الحقيقي لواقع المجتمع فهو ينطلق من واقع المجتمع محاولا معالجة قضاياه مصورا آلامه وكافة مستوياته الحضارية"[3].

إذن فالشعر الشعبي يعكس صورة واقعية لمجتمع ما فالشاعر يصف هذا المجتمع انطلاقا مما هو موجود من آلام وآمال ويحاول معالجة قضياه وتصويب الخطأ والإشارة إلى ما يجب أن يكون هو بذلك حامل لهموم الأمة تلك هي رسالة الشاعر الشعبي وقد يحملها بعفوية إلى درجة انصهاره في الروح الجماعية .

---

[1] عبد الكريم قديفة:انطولوجيا الشعر الملحون،القبة،الجزائر،ط2، 2007م، ص13.

[2] نبيلة نسجاق:الأدب الشعبي بين الهوية المحلية ،ونداءات الحداثة، الملتقى العربي للأدب الشعبي ،فيفيري 2009م.

[3] البلي بن الشيخ :منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،(دط)،1990م، ص11.

كل ذلك يصور بلغة عامية بسيطة يفهمها الجميع مما يسهل حفظه وتواتره بينهم شفويا ويوجز هذه أحمد قنشوبة في تعريفه للشعر الشعبي :" فالشعر الشعبي إذن ،هو الذي يعبر بصدق عن حياة الشعب من أحاسيس وأفكار وقيم اجتماعية ،بلغة الشعب البسيطة التي يفهمها ،وبالمعاني والصور التي تناسب ذوقه مما يجعله يتواتر بين الناس عن طريق الرواية الشفاهية ،ولا بأس عن طريق وسائل الطباعة أو وسائل الأعلام الأخرى"[1].

وقد أطلقت على الشعر الشعبي عدة تسميات أخرى —بالإضافة إلى تسميته بالشعر الشعبي — منها:الملحون،والعامي،والزجل،وذهب آخرون إلى إطلاق تسمية الشعر الطبيعي عليه.

[1] أحمد قنشوبة:الشعر الغض،منشورات الرابطة الوطنية ،اتحاد الكتاب الجزائريين،(دط)،(دت)، ص14.

## 3 – تسميات الشعر الملحون:

لقد اختلف الباحثون منذ القدم في تسمية الشعر الشعبي ووضع مصطلح موحد يطلق عليه ،فبعضهم يسميه بالشعر الشعبي وآخرون بالملحون ،وطرف ثالث بالنبطي وربما آخر بالعامي ،وكل محقّقي تسميته وذلك لان فيهم من ينسبه إلى لغته،وآخر إلى مصدره،وآخر إلى المكان الذي قيل فيه... ومن ثمة تعددت التسميات.

أ – الشعر الملحون: ويطلق هذه التسمية عبد الله الركيبي :" لما كان الشعر الملحون –في معظمه– تقليدا للقصيدة المعربة فان الفرق بينه وبينها هو الإعراب،فهو إذن من "لحن" "يلحن" في الكلام إذ لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة"[1].

إذن سمي بالملحون نظرا للغة التي يكتب بها ولما اعتراها من لحن وتكسير لقواعد اللغة الفصحى. ودخل هذا اللحن على اللغة العربية بعد مجيء الإسلام والفتوحات التي أدت بدخول اللحن على اللغة العربية ،وذلك بدخول الفرس ،واختلاط الجنس العربي بغيره ،فأصبح لا يراعي الإعراب في القواعد العربية.

و قد أطلق هذه التسمية من قبل محمد المرزوقي :" أن الشعر الملحون اعم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله ،وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا له ،أو كان من شعر الخواص ،وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي"[2].

وقد أعطى محمد المرزوقي تعريفا شافيا شمل جميع صفات الشعر الشعبي الذي يرى أن تسميته بالملحون أولى وأبلغ من أي اسم آخر.

ولكننا نجد الاختلاف يمس أيضا تسميته بالملحون ؛فبعض الآراء تفسر التسمية على أساس وجود اللحن في اللغة( عدم مراعاة الإعراب)كما ذكرنا أنفا عند المرزوقي وعبد الركيبي.

[1] عبد الله الركيبي:الشعر الديني الجزائري الحديث،ج1، دار الكتاب العربي،القبة الجزائر،1972م، ص361.
[2] عبد الكريم قذيفة:انطولوجيا الشعر الملحون،ص13-14.

بينما يرى آخرون أن السبب في هذه التسمية يرجع لارتباطه بالغناء واللحن وكونه شعر قيل ليغني وممن ينحون هذا المنحى محمد الفاسي الذي يقول:" وأول ما يتبادر إلى للذهن انه شعر بلغة لا إعراب فيها ،فكأنه كلام فيه لحن وهذا الاشتقاق باطل من وجوده ،لأننا لا نقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ولم يرد هذا التعبير عند احد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب ،والذي أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم لأن الأصل في هذا الشعر الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شيء" [1].فنجد محمد الفاسي ينكر تسميته بالملحون لسبب وجود اللحن في اللغة (عدم الإعراب) وهو يفند ذلك بعم مقابلة الفصيح من الكلام بالملحون ،وأكد أن هذا التعبير لم يرد عن احد من الكتاب القدماء،ويقول إنما المقصود باللحن هو التنغيم والأداء باللحن،فهو شعر قيل ليغنى أولا وقبل كل شيء ويؤكد عبد الكريم قذيفة ما قاله محمد الفاسي:" ارتباط الشعر الملحون عبر التاريخ بالغناء والإنشاد ،عكس الفصيح الذي لم يكن يحظى بذلك دائما"[2]

إذن ارتبطت تسميته بالملحون باللحن المقصود به النغم أي التنغيم فالشاعر الشعبي يتغنى بجميع اطوار الحياة فهو يقول شعرا خاصا بكل أطوار دورة الحياة من الميلاد والى الممات مرورا بالختان والزواج... وحتى أثناء العمل والمناسبات.

بـ- الشعر العامي: وسمي بهذا الاسم نسبة إلى اللغة التي يكتب بها وهي اللغة العامية المستعملة عند الشعوب (العامة) الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

ولقد اختار الشعراء الكتابة بهذه اللغة العامية لقربها من أذهان الشعب؛بيد أن العديد من شعراء الشعر الشعبي كانوا متعلمين وقادرين على الكتابة بالفصحى ،لكنهم فضلوا اللغة العامية لقدرتها على التبليغ وتحقيق الانتشار.

[1] عبد الكريم قذيفة:انطولوجيا الشعر الملحون،ص14.

[2] المرجع نفسه:ص14.

إلا أن هذه التسمية اعتبرت قاصرة فقد أعاب هذه التسمية عبد الله الركيبي بقوله:ط كذلك فان تسمية هذا الشعر "بالعامي" قد توحي بأن قائله أمي لا معرفة له باللغة ،قراءة وكتابة ،وقد توحي أيضا بان المتلقي له من الأميين وبان هذا الشعر لا صلة له بالفصحى من قريب أو بعيد ،والواقع أن الحال مختلف فالقائل قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا"[1].

ومنه نستنتج أن أصحاب هذه التسمية لا يقصدون بالعامي عدم معرفة قائله ومتلقيه للقراءة والكتابة ولكنهم قصدوا التداول والانتشار بين العامة وهذا ما اكسبه صفة الشعبية والتي تمثل أهم ميزة تميزه عن بالشعر الفصيح " أهم مميز- في رأينا — يميز بين النوعين هو طابع الشعبية الذي يمتاز به هذا النوع من الشعر،وإذا لكان كل شاعر يكتب بالدارجة شاعرا شعبيا."[2]

جـ- الشعر الطبيعي: وأطلق عليه أيضا تسمية الشعر الطبيعي وربما قصد بالطبيعي أن الشاعر يقوله دون تكلف وتصنع فهو نابع من سليقته إذن فهو طبيعي ولكن هذا المصطلح يبدو مثيرا للالتباس إذ قد يتراءى لنا من خلاله انه يقصد الشعر الذي يكون موضوعه الطبيعة وعناصرها فحسب[3].

وقد أطلقت عليه تسميات عديدة منها: الشعر النبطي وكذلك الزجل ونستنتج أخيرا أن التسمية المناسبة هي الشعر الشعبي التي تبعد عنه الالتباس وتجعله واضحا متميزا عن الشعر الرسمي ،ويؤكد هذا الرأي أحمد قنشوبة بقوله:" لذا فيبدو جليا أن التسمية المناسبة التي تعبر عن أهم صفات هذا الشعر ،تميزه عن الشعر الرسمي هي تسمية: الشعر الشعبي،والتي أثبتت — بالإضافة إلى ذلك- واستعملت على نطاق واسع في الأوساط الأكاديمية والأدبية"[4].

[1] عبد الله الركيبي:الشعر الديني الجزائري الحديث،ص361.
[2] أحمد قنشوبة :الشعر الغض،ص15.
[3] المرجع نفسه: ص16.
[4] المرجع نفسه،ص11.

## 4 – نشأة الشعر الشعبي:

ارتبط الشعر ارتباطا وثيقا بحياة العرب فقد اعتبر ديوانهم الذي حوى أمالهم وآلامهم وتاريخ أيامهم فقد صور العرب كل جوانب حياتهم بالشعر ويقول ابن رشيق في هذا الصدد:" كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها ،وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الجواد ،لتهز نفسها إلى الكرم ،وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا،لأنهم شعروا به أي فطنوا"[1]، وهكذا فقد أدى الشعر دورا هاما في نقل تاريخ العرب وعاداتهم لأجيال لاحقة وذلك لسهوله حفظه.

ولقد كتبت العرب في بادئ الأمر الشعر باللغة الفصحى لأنها كانت هي المتداولة آنذاك وبعد دخول الفرس والأتراك ظهر اللحن في اللغة ،وكتب شعر بلغة عامية فيها لحن وهذا ما عرف بالشعر الشعبي والذي يصعب تحديد عصر معين لنشأته لأن الحديث عن نشأة أنماط الثقافة الشعبية عموما ،والشعر الشعبي بصورة أخص حديث متشعب المسالك .(فبعض الباحثين يرجعون نشته إلى عصور موغلة في القدم إلى تلك اللهجات العربية التي ربما ظهر بعضها في العصر الجاهلي مثل الأراجيز المنظومة بلهجات غير فصيحة، هذا بالنسبة لظهور الشعر الشعبي بصفة عامة، أما بالنسبة للجزائر فيمكن القول بان الشعر غير المعرب جاء من الفتح الإسلامي ،ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجيء الهلاليين إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة ،حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية وساهموا في تعريب الجزائر بصفة جلية)[2].

إذن فنشأة الشعر الشعبي الهلالي ترجع إلى زمن دخول الهلاليين إلى الجزائر حاملين معهم الثقافة العربية التي يميزها الشعر.

[1] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني :كتاب العمدة في نقد الشعر وتحيصه ،تح:عفيف نايف حاطوم،دار صادر ،بيروت ،ط2006،2م،ص23.
[2] ينظر: عبد الله الركيبي:الشعر الديني،ج3،ص 366.

ويقول تلي بن الشيخ في تحديد ظهور الشعر الشعبي في المغرب العربي:"أن ما نعرفه عن ظهور هذا النوع من الإبداعات الشعبية في أقطار المغرب العربي يرجع إلى الفترة التي دخل فيها الهلاليون إلى إفريقيا في منتصف القرن الخامس الهجري ،ومن المستبعد إن لا يعرف السكان الأصليون نظم الشعر وروايته إلا بعد هجرة بني هلال إلى هذه الأقطار"[1].

ومن هذا القول نستنتج أن ظهور الشعر الشعبي في المغرب العربي بدخول الهلاليين إلى إفريقيا في منتصف القرن الخامس هجري لكن تلي بن الشيخ استبعد عدم معرفة السكان الأصليين للمنطقة نظم الشعر واستشهد بوجود أنماط من القصص الشعبي والرقصات الشعبية وبعض العادات والتقاليد سابقة للفتح الإسلامي ،وارجع هذا الغياب –الشعر الشعبي- لأسباب وعوامل اعتبرها احتمالات لا تعبر عن الحقيقة بصورة قطعية.

1/الاحتمال الأول: انقرض الشعر الشعبي الذي كان موجودا قبل القرن الخامس هجري ربما يرجع ذلك إلى أن الشعر تعبير ذاتي يرتبط بالفخر بالأنساب وتمجيد الروح القبيلة بالإضافة إلى الاهتمام بالمرأة والتغزل بجمالها وحبها ،وهي أغراض حاربها الإسلام ووقف منها موقفا صريحا ،ولهذا فقد هجر الشاعر الشعبي الشعر وزهد فيه لاعتقاده إن الشعر يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية .

2/الاحتمال الثاني: أن الشاعر الشعبي كان أميا،لا يحسن تدوين ما ينظمه من الشعر وكان المتلقي لا يختلف عن الشاعر في جهله للكتابة ،ولما هجر الشعراء الشعبيون نظم الشعر وزهد الرواة في حفظه انقرضت نصوص الشعر وضاعت مع من كانوا يحفظونه ويرددونه [2] .ويؤكد تلي بن الشيخ هذا الرأي بمقولة الأستاذ المرزوقي:" لم يترك لنا التاريخ أي اثر لشعر منظوم باللغة العربية الدارجة (الشعر الشعبي) قبل منتصف القرن الخامس هجري"[3].

[1] تلي بن الشيخ:منطلقات التفكير ،ص23.
[2] ينظر: المرجع نفسه ،ص24.
[3] المرجع نفسه:ص25.

وبعد إدراج هذه الآراء عن نشأة الشعر الشعبي يمكننا القول انه ظهر في بلاد المغرب والجزائر خاصة في القرن الخامس هجري بعد دخول الهلاليين .

## 5 – أغراض الشعر الشعبي:

تعددت وتنوعت الموضوعات والأغراض التي تطرق إليها الشاعر الشعبي فهو لم يترك غرضا من الأغراض المعروفة إلا وكتب فيه ،مع اختلاف في الرؤية والأسلوب ويقول في هذا الصدد تلي بن الشيخ:"استطاع الشاعر الشعبي أن يبدع في كل أغراض الشعر الشعبي العربي مدحا ورثاء ،وهجاء وحماسة وغزلا،...الخ اختلاف في الرؤية وتباين في الأسلوب ،واختلاف في التصوير ،ونحن إذ نصف الشعر الشعبي بالباسطة والعفوية ،أن لم نقل السذاجة أحيانا ،فإننا نتفق مع بعض الدارسين ،في اعتبار الإطار الثقافي والحضاري الذي ينهل منه الشاعر الشعبي ،والشاعر المدرسي واحدا مما يستدعي وحده الرؤية والتصوير"[1].

إذن فالأغراض التي كتب فيها الشاعر الشعبي هي نفسها التي كتب فيها الشاعر الفصيح ومرجع ذلك كون مصدر الشعر واحدا ،فهو نابع من شعور الشاعر سواء فصيح وشعبي ويقول محمد المرزوقي :"والشعر–كما هو معروف– ينبع من شعور الشاعر ،وهو وليد إحساسه بما حوله ،ولذلك كان يشمل جميع مظاهر الحياة ،فينضم في الغزل والوصف والمدح والفرح والحزن والتشكي والهجاء ،وفي الرحلات والتنقل ،وفي المراسلات الأخوانية،والأحداث الوطنية والاجتماعية"[2].

- وصف الطبيعة:والوصف هو وضع صور دقيقة التفاصيل للموصوف في الغالب تكون مستمدة من بيئة الشاعر،وتزداد هذه الصور جمالا بشدة تأثير الموصوف على الواصف[3].

[1] تلي بن الشيخ:منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري،ص30.

[2] محمد المرزوقي:الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية ،الدار التونسية للنشر،(دط)،1971م ،ص07.

[3] بن علي محمد الصالح:من روائع الشاعر الشعبي (علي عناد)،من إصدارات دار الثقافة ،الوادي،ط2008،1م،ص75.

وهو غرض ضارب في القدم وكما يقول عبد الصمد بالكبير:"وهو غرض يكاد يكون تقليديا ويكاد تاريخ هذا الغرض يرتبط بتاريخ الشعر نفسه عربيا وإنسانيا."[1]

ويسمى هذا النمط في اصطلاح أهل الملحون بالربيعيات ،فإبان إنتاجه يتم في ذلك الفصل غالبا وقصائدهم في هذا الغرض تسمى بموضوعها المباشر :الصبوحي، أو الفجر، الديجور، الذهبية(أي غروب الشمس).ولا تخلو إغراض أخرى من وقوف الشاعر عند الطبيعة متمليا ومنبها وداعيا...إلى اكتشافها والتمتع بجمالها ومن ذلك الغزل،الرحلات الخيالية...

وكان الشاعر الشعبي يوجه إلى مستمعيه أو قارئه ذلك الخطاب الخاص المباشر بل الأمر ؛يلح عليه فيه إلحاحا لا مزيد عليه ،في أن ينتبه إلى الطبيعة بمختلف مظاهرها ،وأن يملي نظره منها ،وأكثر ما يعبر عن ذلك بلفظة (شوف) وهو كثير الورود في هذا الغرض في الشعر الشعبي[2].

1 - الغزل: وهو شعر وصف النساء والصبابة والشوق والهيام حيالهن ويمكن تقسيمه إلى قسمين :غزل عفيف وآخر ماجن

والغزل العفيف اشتهر به سكان البادية الذين تحكمهم أعراف وتقاليد لو خرج عنها الشاعر لعاتبه الجميع ،ولذلك تميز بالسطحية والعمومية في الوصف وارتبط بالطبيعة فشبه الوجه بالقمر والرقبة والعين برقبة وعين الغزال والأنف بمنقار طائر الغراب،والشعر بسواد الليل وهكذا ،ثم سرعان ما يتحول الشاعر عن موضوع الغزل ليصف الأرض والمسافات التي تحول دون نجع الحبيبة وأن هذه المسافات لا يقطعها إلا لراجل فلا بد من مركوب قوي وسريع ،فيروح الشاعر ليصف الحصان أو المهري فيعدد مواضيغ وأغراض القصائد ويبتعد عن الأصل[3].

وما يلاحظ على شعراء الشعبي أنهم جلهم كتب في الغزل ويقول تلي بن الشيخ:"كان الغزل غرضا من أوسع أغراض الشعر وأكثرها تداولا بين الشعراء ،وأبعدها أثرا في حياة الطبقات الشعبية ،فالشعراء

[1] عبد الصمد بالكبير:الشعر الملحون، الظاهرة ودلالتها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ط1، 2010م، ص127.

[2] ينظر:المرجع نفسه: ص127-128.

[3] بن علي محمد الصالح:من روائع الشعر الشعبي(علي عناد)،ص179.

الذين نالوا شهرة واسعة بين الناس إنما خُلدوا بالشعر الذي عبر عن وجدانهم وعواطفهم نحو المرأة فقد كانت المرأة دوما تثير اهتمام الشاعر وتلهم قريحته بفيض من الأحاسيس الشعرية"[1].

وفي هذا الغرض يقول بن كرِّيو في قصيدة طويلة تحت عنوان "قاضي الحب":

جيتك رافع دعوتي يا قاضي الحب وتغيث المضيوم داخل تحت جناحك

لا تغبن مظلوم يتجلى هارب جار عليه الحب مثلي وتعناك

إني شفت ريم كي طاح المغرب كيما شافني وما نيشي شاك

**2 – الشعر الديني:**

"وهو غرض تقليدي وموروث في الكثير منه عن تقاليد النص الشعري العربي الفصيح وهو الأرض الأكثر تمهيدا ،أو السلعة الأكثر رواجا ،خصوصا لمجتمع كان الدين بطقوسه وقيمه ومبادئه ومؤسساته يمثل الحياة اليومية لمكونيه،خصوصا أن الشعر الملحون ارتبط ولادة ونشأة بالزوايا والطوائف والطرق الدينية . ويلاحظ أن النص الديني في الملحون يكاد يلامس الكثير جدا من الأغراض والمواضيع الأخرى ،كالنقد والإصلاح الاجتماعي وكذا السياسي والوظيفة التعليمية...فضلا عن الدعوة إلى الواجبات والفضائل الدينية وأداء طقوسها المختلفة" [2]. "ومازال الشعر الديني يتداخل مع بعض الأغراض إلى يومنا هذا حيث يتعمد الشاعر –في الغالب– إلى استهلال قصيدته بالتسمية والتوكل على الله ويختمها بالصلاة على الرسول –ص– وطلب الرحمة والغفران والأمن والأمان للأهل والوطن...،ولم يمنع ذلك من وجود قصائد شبه نقية من موضوعها الديني الصرف ،مثل قصائد الحج وزيارة الرسول –ص– ،شهر رمضان،التسامح والتعاون وتمجيد الفضائل والأخلاق عموما"[3].

يقول عبد الله بن قراف:

الصلاة والسلام عنك ياي محمد الصلاة والسلام عن بوفاطنة لمجد

الصلاة عليه قد اليف قد حبوب وقت الصيف

[1] تلي بن الشيخ :منطلقات التفكير في الأدب الشعبي ،ص87.

[2] عبد الصمد بالكبير:الشعر الملحون،ص146.

[3] بن علي محمد الصالح:من روائع الشاعر الشعبي (علي عناد)،ص157.

قد ثمار وقت خريف ناسو بيه كي تسعد[1]

### 3 – الشعر الاجتماعي:

"وهو الشعر الذي يتناول القضايا الاجتماعية ومعالجة بعض الآفات والظواهر الخاطئة لقيم وأعراف المجتمع خاصة،ويهدف الشاعر من ذلك إلى إصلاح ما أمكن شعرا،أو على الأقل إظهار الخلل ولفت الانتباه إلى ما يراه خطأ .وفي هذا الباب تناول الشعراء العديد من المواضيع كالمرأة والشباب والزواج،والآفات كالتدخين والخمر والمخدرات والسرقة ،وانحطاط الأخلاق،...والتضامن والتحسيس ببعض المشاكل التي فرضها العصر"[2].

"وعلى نمط الشعر الفصيح في التراث ،فلقد كنى شاعر الملحون عن أحوال المجتمع وانحطاطه بالحديث عن الزمان أو الدهر فتذمر من "الدنيا" ورغب عن معاشرة أهلها فنجد الشاعر الشعبي يصور ببراعة ودقة في التصوير والتعبير يختصر القول عن تجربته في الدنيا قائلا:

مل قلبي من الدنيا كلها امحاين أو لا بقى يترجى الا يموت هاني

من صبايا لشبابي واسق لحزاين ومن شبابي لازلت اليعلتي انعاني"[3]

وفي الغرض نفسه نجد لغانم الفاسي قصيدة التوبة يقول فيها :

"عش هاني وحدك وكل فاجر انفيه وكل من حب اولاد اليوم زايد شقاه

اما عش وحدك خلي لهل بلاهم"[4]

[1] عبد الكريم قذيفة: انطولوجيا الشعر الملحون،ص18-19.

[2] بن علي محمد الصالح:من روائع الشاعر الشعبي (علي عناد)،ص141.

[3] عبد الصمد بالكبير:الشعر الملحون،ص153.

[4] المرجع نفسه:ص154.

## صور من حياة المجتمع السوفي في الشعر الشعبي

**تمهييد**

I. **تجليات الطبيعة(البيئة) السوفية في الشعر الشعبي:**

II. **المظاهر الدينية**

III. **المظاهر اقتصادية**

IV. **المظاهر اجتماعية**

**تمهيد:** كان الشعر الشعبي في منطقة وادي سوف سجلا للمجتمع بالوادي ؛إيجابياته وسلبياته فجاء حافلا بتلك المظاهر التي تعكس واقع الحياة بالمنطقة والتي سنتناولها في هذا الفصل بالبحث والعرض.

## I. تجليات الطبيعة(البيئة) السوفية في الشعر الشعبي:

وصف الشعر الشعبي طبيعة المنطقة البدوية والفلاحية وتغنى بذكر الطبيعة ومحتوياتها مفتخرا بمنطقة الوادي ورمالها وصحرائها وحيواناتها...

وهذا ما نجد فيه صورة عن المنطقة السوفية هذا من جانب ،ومن جانب آخر نجد أن الشاعر في قصائده الغزلية يقتبس صوره وتشبيهاته من الطبيعة المحلية به فمثلا يشبه المرأة في جمالها بالغزال وأحيانا يشبهها في قدها بالنخلة وجذعها و...

**يقول عبد الرزاق الشوشاني**[1]:

تْفَكَّرِتْ نَجْعْ الرِّيفْ وينْ اوكارهْ وُرْبيعْنَا ونُوَّاره شْـوالْ الحليب الدَّحْ والحُمّـَارهْ

تْفَكَّرِتْهُمْ عُرْبَانْ صَحْرَاوِيَّـةْ مْنِ الوَادِ شَرْقِي شِيفْتْ الحِيدُودْ

نَاسْ نِنْتُمُو للرِّيفْ والبَـدْوِيَّةْ رْجَـالْ الشَّهَامَةْ وَالكَرَمْ وَالجـُودْ

وْفَارْضِ الصَّحَارَى خْيَامْنَا مَبْنِّيَة تْخَانْ وَكَرَبْ وَعِـلِبْ شِينْ غْـرُودْ

وْفِي وْلْدْ الرِّيمْ حَطْ ضْنَيَّـة فَـارْضِ المِصَاحِنْ وُالعَـتلا وَالهُـودْ

حْنَّا نْعَمّرُو وِيْنْ البُرُورْ خَلِيّـَة مْـرَاحِيلْـنَا فُوقْ الجِمَالْ تْسُـوقْ

وُمْنِينْ كَانْ الرِّيفْ عَنْ تَيَّـارهْ وُرْجَـالْنَا نَغَّـارَه

وْفِي بْلَادْنَا مَا نِتْرِضُو بِخْسَارَة

كَانْ نَجْعْنَا فِي الرَّمَلْ وِينْ تَعْلَى وِينْ السَّرَابْ لَامعْ يْدِيرْ أجفان

وِينْ الغَزَالْ جْلَايْبَهْ تِتْجَـلَى زُمُـولْ عَالِيةْ وَتْحِفْهَا وِدْيَـانْ

[1] بن علي محمد الصالح،عبد الرزاق الشوشانب شاعر الوطن والبادية،دار الثقافة الوادي،ط1 ،2010م، ص 56-66.

ففي هذه القصيدة يصف الشاعر الطبيعة الصحراوية والبدوية للمنطقة فقد بدا بذكر موقعها فهي شرق الحدود ثم وصف ناسها بالشهامة والجود والكرم ووصف سكنهم الخيم الموجودة في الصحاري وعدد أنواع الأراضي "تخان،كرب،غرود" وعدد الحيوانات من الجمل والغزال ويقول بأن أهل المنطقة يحبذون السكن في البرور الخالية ،وهناك نجد الأعشاب بأنواعها كما ذكرها(عضيد،شقارة،بدان)وهي الأعشاب ترعى فيها الأغنام والإبل... ثم وصف أهل المنطقة بالكرم والجود وفرحتهم بالضيف وعدم البخل مما عندهم من خير فهم يضيفونه بالتمر والحليب والكسكسي والدهان وهي أفضل مأكولات المنطقة وهم أهل نصرة للمظلوم . وبدأ الشاعر قصيدته بذكر فصل الربيع ونواره أي وخضرته والورد الموجود في الأعشاب وكذلك شكوة الحليب ومخضها في (الحمارة) وختم بهذا المنظر الرائع حيث الخضرة والورد والحليب وبعضه في (الشكوة) معلق في الحمارة وهي حاملة توضع فيها الشكوة وبها الحليب للخض .

وبهذا الوصف الرائع والدقيق للطبيعة البدوية كأننا أخذنا صورة فوتوغرافية للمنطقة.

**عمارة الركروكي[1]:**

مَرْحُومْ الــتوَادْ وسُكَّانَهْ وُدْشُورْ اللِّي تِنْسَبْ لِيـهْ

لَا يْشُوفُو شِدّهْ وْلَا هَانَهْ يْحَيّدْ عينْ السَّوْ عَلِيهْ

ـَ÷ذَا الوَادْ نَعْطِيكْ أْخْبَارَهْ طْلَعْ فَجْرَهْ وضَوهْ وُ نْهَارَهْ

نَاسَهْ مَعْرُوفَهْ نَغَّـــــارَهْ لا يِشَّفُوْ لْعْـــــدَا فيـهْ

هذَا اللِّي يِحْكُـــوْ عَنَّهْ طْلَعْ أسْمَهْ في كُلّ بلادْ

من الهِنُودْ بُعْـــــدادْ عَـــــدِّي من مريكا لْهِيهْ

ففي هذه القصيدة يفتخر الشاعر بمنطقة الوادي ويقول بأنها مرحومة وكل المناطق المنسوبة إليه ويدعو بان يكون بعيدا عن النظرات التي يسيء إليه ويصنف أهله بالأنفة والعزة ويحبون مواطنهم ولا

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف،ج4،دار الثقافة،الوادي،ط1 ، 2013 ،ص49-50.

يتركون فرصة للأعداء كي يتشفوا فيه ويشيدوا بأنه معروف ومشهور في كل البلاد من الهند حتى بغداد وحتى إلى أمريكا وما بعدها.

**بشير الحداد[1]:**

جَايَّكْ مِتْعَّـــــــــــنِي وْعِنْدِكْ كلامْ القُولْ رُدِّي عَنِّي

عَقْلِي سَرَحْ والقلب عَادْ يغَنِّي تِفَكَّرتْ راقْ الرَّجمْ بنتْ هْديَّةْ

فكيكير ماخي بْزِمْلتهْ مْقابلني شيخْ الغيطانْ محوّمـــةْ شرقيَّةْ

وَبْيُوتْ فِي مَرْقَبْ ذْيَابِ العَالِي شُفْتِيشْ هَا لَيَّامْ خَـــرَّتْ بـي

مِنْ بَابَـــــــــهْ حِنَا وِرِدْنَا عَلَى بِنْ حَمَدْ بِرْحِيلِينَا هَوَّدْنَـا

المِقْتْلَة طْوِيجِينْ عَنْهَا صَعَدْنَا وَنَلْقَى الصَّحْرَا بِالعُشْبْ مَبْثُوثَةْ

حَلَبْنَا الِمْعِيزْ فِي شَكَوْتَهْ بَرَّدْنَا وْزِدْنَـــا كِلِينَا دْهَانْ بِالَمَرْفُوسَة[2]

القَلَبْ مُوشْ مْصَـــــــدِّي وُجْبَـــدِتْ تَمْرِي بِالْحَلِيبْ نْعَدِّي

وَاللَّغُو فَالِي كِي مَرَقْ لَهْ وُلْدِي وْفِي فَالْنـــــا هِدْفَتْ مِثِيلْ العَادَةْ

اسْتَحْمِدَتْ فِي خِيْر الإِلَهْ عِنْدِي وْدِرْنَا رِفِيسْ لأعُمْـــرْهَا مُشْتَاقَة

ثْمَنِّيتْ كَانْ دُوّارْ فِي رَقْـــرَاقَة[3] فِيـهَا العْشُبْ تَفْلَى الغنمْ والنَّاقَةْ

فالشاعر هنا يصف البادية ومواضعها ويعدد مواضع في البوادي منها (راق الرجم،بنت هدية)ويتذكر أماكن كانت وغابت عنه بسبب الرحيل إلى المدن ربما والانتقال إلى أماكن أخرى

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج4،ص46

[2] المرفوسة: خليط التمر، والخبز المفتت بالسمن.

[3] رقراقة:أرض منبسطة.

ويواصل في ذكر مواضع في البادية منها أيضا المفتلة وطويجين ويقول باعتماد غذائهم على الحليب من الماعز والدهان والمرفوسة وهي أكلة شعبية ،وكذلك التمر والحليب وهو يحمد الله على هذه النعم وهذا الخير وفي قصيدة أخرى يصف البادية وجمالها وما يتصف به أهلها من عزة في النفس والفروسية والنخوة والشجاعة وهو يعدد المواضع بقول:

رَقِيتْ فُوقْ العَـــــالِي نَشْبَحْ شَنَاتِي لَابْسَاتْ حَوَالِي

وَالنَّجَعْ مِطَّانِبْ وُسَعْيَهْ فَالِي والرَّعْدْ يُضْرُبْ والبُرُوقْ تَشَالِي

وُرُوِيتْ بِشْوَايِلْ حَلِيبْ النَّاقَةْ

السُحُبْ دَكَّمْ لِيْـــــلَهْ وَالرَّعْدْ يُضْرُبْ بَرَقْ خَلِّفْ سِيلَهْ

وْخَلَّى الصَّحْرَا بِالعْشُبْ نْزِيلَةْ رِقَمْ القِطَفْ النَبَتْ يِعْجِبْ زَيَّهْ[1]

**الساسي حمادي[2]:**

وَاد سُوفُ فِي التَّارِيخْ عِنْدَهْ مَكَانَهْ بِنْخِيلْهَا وِعِمُرَانَهْ قُـــترآننَا وَأَشْعَارْنَا ودِيوَانَهْ

وَادْ سُوفْ فِي التَارِيخْ عِندهْ مَكَانَهْ وَمَعْرُوفْ شَايِدْ من زمان طويل

مِنْ عَهِدْ جَدْ أجدادنَا وإِخْوَانَـــهْ مِتْوَاصلةْ مِن كلْ جيل اِلْجِيلْ

أَحْرَارْ لَا نَرْضَاشْ بِالخِيَـــــانهْ وَلَا نَرْكُعُوا للِّي مِنهْ عدوْ ودخيلْ

وصف الشاعر بلدته ومسقط رأسه بصفات علية بأنه معروف وله مكانته عبر التاريخ ووصف أهله بالكرم والجود وتبجيل الضيف ووصف عمرانه وهي ألف قبة وقبة وكثبانها الرملية وتدين أهلها وتمسكهم بالقرآن وبالسنة وبالصدق والأمانة واعتمادهم على الفلاحة والرعي ،وختم قصيدته بمدح الرسول.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج4،ص47.

[2] بن علي محمد الصالح،حمادي محمد نافع،الساسي حمادي، دار الثقافة الوادي،ط1، 2006م، ص58-59.

ويصف الشاعر مهد طفولته حيث ولد وتربى و تأسره بلاده وتسكنه أيضا وهي الرباح إحدى قرى منطقة الوادي ويقول[1]:

اسْمِكْ عَ الرّبحْ عَ القَلْبْ غـــــالِي خَيَارْ النِّزَالِي الــرَبَّاحْ وعْقُلْنَا والنَخَـــالِي

اسْمَكْ عَ الربحْ فيكْ ربـــــحْ زَايِدْ ابْكُلْكْ إِفَّايِدْ فِي القَلب حبُّك تعمَّقْ بْزَايِدْ

صِيْل الكرمْ فِيكْ مَعروفُ شَايدْ رِجَالِكْ وكِايْدْ فِي الخيرْ وَلَّا سْنِينْ الشَدَايـدْ.

**إبراهيم بن عامر**[2]:

بلادي تِزْيَانْ هِي خِيْرْ مِنْ كُلْ أَوْطَانْ

نَاكُلْ بِسْرَاتْ فِي الغِيطَانْ نُرْقُدْ رَقْدَةْ فُوقْ سْيُوفْ

ويقول في قصيدة أخرى يتغنى بالوادي وبمناطق موجودة فيها[3]

المغَيِّرْ تْبـــــــانْ وَنَقَيِّلْ بِين البِيبـــــانْ

نَشْرَبْ من القِرْبَة عَطْشَانْ رِيقِـــي يَابِسْ مَلْهُوفْ

الحَمْرَايَةُ تْطُـــــــــلْ وعِينْهَا تشرب منها البلْ

دِقْلَة وفْلَاحَة وَنْخَلْ والنَّعْـجَةُ أُمْ الخَـــرُوفْ

خَلَطْنَا لِلْمَنَادِي ثم كَرَفْتْ رِيحـــةْ بَلادِي

نَطْلَعْ للعلب والنَّادِي نَفَتِشْ نَـلْقَى وَمَا نْشُوفْ

خَلَطْنَا لِقْـــمَارْ نَلْقَى فِيـــــهَا كُلْ ثْمَارْ

دِلَاغْ وَكَابُو مْشْوَارْ وَخُضْرَة من كـــــل صنُوفْ

خَلطنا لتَاغْـزُوتْ حَمَدَتْ الحَيُّ ألاَ يْمُـــوتْ

فِي كْوِينِينْ نْهِزْ الصُوتْ نـــــرْدِي نِتْحَزمْ مَشْغُـوفْ

---

[1] بن علي محمد الصالح:حمادي محمد نافع،الساسي حمادي،ص53.

[2] عاشوري قمعون:أشهر علماء سوف الشيخان،حي الشط الوادي،ط1، 2010، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص29.

تغنى الشيخ إبراهيم ببلدته وادي سوف واعتبرها من أحسن المناطق جوا ومأكلا فهو يعتبر أكل البسرات أو التمر في الغيطان (الغابة) ورقدة فوق الرمال من أفضل ما يوجد في الوطن فحنينه لبلده سوف جعله يعتبرها من أفضل الأوطان ،وفي المقطع الثاني من قصيدة أخرى عدد المناطق الموجودة في الوادي وذكر خصائص هذه المناطق من ماء في القربة وثمار وتمر وخضروات وحيوانات متنوعة من الإبل والخروف ومن شدة شوقه لوطنه جعل لها رائحة تفوح يشمها الشاعر حينما يقترب منها.فقد صور لنا الشاعر المنطقة وكأنها جنة خضراء بما فيها من خضرة وماء.

**علي عناد[1]:**

يُومْ لِرْبْعَا سِمْعْنَا خَبَرْ إِنَادِي ذِكْرُوهْ في دزايرْ وَهُو فِي الـــــوَادِي
وَادْ سُوفْ يَا مسَمِيـــــهْ مَشْهُورْ اسْمِكْ فِي العَواصِمْ حَيَّـــــةْ
ما بين سُكانكْ رجالْ قَويةْ النِّيفْ والشَّجاعة وَاجْدَهْ فِي بـــلادِي
بَلادْ ألف وقبَّة قَايْمَةْ مَبْنِيةْ شْجُورْ وفلاَحَهْ ورعُو للبـــــوادِي
أَرْضْ فلاحـــــــــةْ كُلْ مِنْ خدم ينجح إِنَالْ رْبَاحَـــــهْ
اللِّي زَارْهَا يُوجِدْ إِصِيبْ الرَّاحَةْ السُّوَاحْ لِينَا إِجُو مِنْ لبْعَـــــادِي
أَهْلْ التقى والعلم والصراحةَ شْيوخْ في المساجد يرشدوا اللِّي غَادِي
بَلادْ ثقـــــــــافةْ بـــلادْ الجودْ والكـــــرمْ والضِّيَافَة
المِضْرُورْ وِينْ يزورنَا يِتْعَافَى كـــابن دواء في الارض يصبح عادِي
اللِّي يعجز عليه الطّبْ والعرَّافةْ في تْرابنا موجـــــودْ فوقْ سْمادِي
بَلادْ الرَّمْلـــــــــــةَ عفيفة نظيفة لا زِلقْ لا طمـــــلةْ

هذه قصيدة وصفية صورت قصة عشق بين الشاعر و منطقة حباها الله بالخير الكثير، كالشهرة بين المدن فقد اشتهرت بعمرانها المعروف بالقباب حتى لقبت بمدينة ألف قبة وقبة و سكان من صفاتهم الكرم و الشهامة، و أرض فلاحية مليئة بالخيرات لا تبخل عن أهلها فمن يخدم الأرض يجد

[1] بن علي محمد الصالح:من روائع الشاعر الشعبي علي عناد،،ص103.

الفائدة ، و هذه المنطقة سياحية حيث يزورها الناس من الأبعاد لجمالها و ثقافة أهلها و تقواهم فهم شيوخ في المساجد، و حتى المريض عند زيارته لها يتعافى و يقول الشاعر أنه ما يعجز عنه الطب و العرافة لمعالجة المريض يوجد دواءه في الرمل فوق (السمادي) ربما لهدوء المنطقة و صفاء هوائها و الحجامات الرملية التي تستعمل لمرضى الروماتيزم و المفاصل .

و مما يلفت الانتباه إشارة الشاعر للعرافة مما يدل على وجود معتقدات التداوي بالعرافة. و يواصل الشاعر وصف بعض المناطق الرملية و جوها ثم يطلب الله أن يحفظهما من عين الحساد و هذا ما يشير كذلك إلى خوف أهل المنطقة و تطييرهم من العين الحاسدة . و في قصيدة أخرى بعنوان "التراث"[1]

لَا نِي عَ لَثَاثْ كُرْسِي وَخْزَانَةْ نِحْكِي عَ التُّرَاثْ يَا لِلِي تَصْغَانَا
جدِّي وجدِّكْ وعمتِي وبابايَا نَعْطِيكْ عَنْهُمْ بَعْضْ مِنْ لَخْبَـارْ
كانوا إلكلهم عْايشِينْ هَنَايَا وِنِحْكُـو عَلِيهُمْ نَاسْ مِنْ لِكْبَـارْ
كانت العرب ابْسَعِيهَا فَلَّايَا وكل وينْ تْمشِي إِقَابْلِـكْ دُوَّارْ
نِعْمَهْ كثيرهْ وخيرْ منْ مُولَايَـا وبـــالغيث عمَّت صابَّهْ لْمْطَارْ
طُلْعَتْ سَحابه فوق من غردايةْ رِدِّة الحـــاسي فوق من لَبـيَارْ
غُرْدْ الثِّنِيةْ ظَهْرْتَهْ بِضْحَايَا وغَرِدْ الجمل شَرْقِيهْ مَشِي نهارْ

يضيف الشاعر طريقة عيش أهله القدامى أبوه و جده و بساطة عيشهم و يذكر المناطق المجاورة لهم ثم يصف البدو و كيفية عيشهم و رعيهم للأغنام و الإبل و طعامهم المعتمد على التمر و الحليب و الدهان ... و حيوية سكانها و نهوضهم باكرا و مباشرو الأعمال الشاقة ، نستطيع من قراءة قصيدة على عناد التي يعتز بها و يفتخر بمنطقة الوادي و يعدد مناطقها أن نتصورها وكأننا رأينا فالشعر هنا بمثابة صورة فوتوغرافية .

[1] بن علي محمد الصالح:علي عناد،ص77.

ونجد أيضا من الأشعار الغنائية التي تتغنى بالوادي وتعتبرها ممو العين من كثرة الحب بالمنطقة والاعتزاز والافتخار بأهلها وبخصالهم حيث يقول شاعر مجهول[1]:

هِيَ أنْتِ يَا بْلَادِي ومَا تْهُونِيشْ عَلَيَّ

حُلْوَهْ مَحْلَاكْ يَا الوَادِي أنتِ مُو عِينِيَ

اسْمِكْ وَلَّى مَعْرُوفْ فِي العَالَمْ وَادِي سُوفْ

يَا مَا قُصْدُوكْ الضْيُوفْ يَا وَادْ الرمال الذَهْبِيهْ

يَا عَالِيَة فِي سْمَاكْ العَالِي أنتِ دِيمَا عَلَى بَالِي

عَايِشْ مع أَهْلِي وَخْوالِي وَجِملةْ أهلي وأُمَالِي

كثبان أمْهَيْلَةْ رْمَالكْ ونَخِيلْ عَالِيةْ في جَنانكْ

سبحان المولىَ هَدَاهَا لِكْ يَا سُوفْ يا غاليةْ عَلَيَّ

مِيزَهْ لْبَاسِكْ قَنْدُورَةْ حُلْوَهْ بَاهِيةْ فِي الصُورَةْ

الصُّوفْ في الشْتَاءْ يَعمَلْ دُورَهْ فْرَاشْ وَغْطَاءْ وقَشَابِيَةْ

بالكَرَمْ والجُودْ مَعْهُودَة عبدك مَعروفْ بجْوُدَهْ

بُسْتَانْ مليان بورودَهْ نْحُبُوكْ بالصِّفَا والنِّيَةْ

كل القصائد السابق ذكرها تعطينا صورة دقيقة عن المنطقة بخصائصها المناخية وميزات سطحها وصفاتها أهلها وأخلاقهم وحتى عاداتهم وتقاليدهم فالشعراء الشعبيون يعتزون بالمنطقة ويفتخرون بها وبصفاتها الطبيعية ومميزات أهلها من أخلاق ودين ومحافظة ...لكننا سنفرد عنصرا خاصا لنتحدث عن محافظة أهل المنطقة على الدين والتمسك به.

[1] عبد الناصر باهي:أغاني الألم والفرح ،دار الثقافة الوادي ،ط1 ، 2010، ص59.

**استنتـــــــــــــاج:**

من خلال قصائد الشعراء الشعبيين السابقة نستنتج أن منطقة وادي سوف منطقة صحراوية بدوية تعلق بها سكانها البدو تعلقا كبيرا حتى وصفها شعراؤها كأنها الجنة الفيحاء،ولا غرابة في ذلك فحياتهم مرهونة بخيراتها من كلأ وماء ومستلزمات عيش.فالشاعر البدوي يصف أرضه بتشريح دقيق فيذكر كل معالم الصحراء من أبار وكثبان ونحو ذلك من حيوانات مثل الجمال والغنم .و انسيهم في وحشة الصحراء (النخلة) تلك الشجرة المباركة ،التي اعتموا عليها في الكثير من المحتاجات فثمارها التمر اتخذوه وغذاء واتخذوا من سعفها وسائل استعملوها ومن خشبها نارا أوقدوها ومن ظلالها لها الواقرة مكانا سكنوه....

## II. المظاهر الدينية في المنطقة:

إن الشعر السوفي غني بالشواهد على أهمية الدين في الموروث الثقافي للمنطقة ،ويترجم ذلك الميزات البارزة للمجتمع السوفي ومخزونه الثقافي حيث نجد أن الشعر الديني يوجد بكثرة وبمظاهر متعددة تدل على تدين أهل المنطقة وتمسكهم بعقيدتهم والمحافظة عليها والاعتزاز بها .وتجلى ذلك في مدحهم للرسول –ص- و اهتمامهم بقضية التوحيد كقضية أساسية ومدحهم للأولياء الصالحين التابعين للطرق الصوفية الموجودة في المنطقة وهذا ما سنحاول معرفته عن طريق الشواهد الشعرية التي تدل على أن المنطقة خليط من الطرق الصوفية حيث نجد الطريقة التجانية والطريقة الرحمانية والطريقة القادرية ولكل طريقة شعراء يمدحون شيوخها.

### 1. الطريقة الرحمانية:

الشاهد:

**يقول بلقاسم مشري[1]:**

بِلْقَاسِمْ يَا لَخْـــــوَانْ بِنْ عَزُوزْ شَاهِي نْشُوفَهْ عَيـَانْ

شِيخِي بِنْ عَبْدِ الرَّحْمَـنْ بِمْحـــِي السَّيَةْ الِّلـتي مَكْتُوبةْ

البُرْجِي[2] يَا سُلْـــطَانْ غِيـــــــثْنِي يَا غَـــالِي النِّسْبَة

نَادِيتْ قُولِي بَالِيـــــفْ والصَّـــــلَاةْ على نبينَا الشَّرِيفْ

قَدْ وَقْتْ شْتَا وَخْرِيـفْ وَفِي كُلْ سَاعَةْ أَيَامُو هَـــــدِيفْ[3]

الدَّرَجْ وُالجُمْعَةْ شهرُو هَدِيفْ قَـــدْ كُتُبْ التَصْنِـــــــــيفْ

---

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج4،ص16.

[2] البرجي:نسبة الى البرج، برج بن عزوز.

[3] هديف،يصل بسرعة

جَامْلَة بَالِيفْ وْنَصْبَـــــــةْ قَـــــدْ مـْـــــــــــزَانْ صَبْ عَفِيفْ[1]

فِي سْحَابُو رَبَّه بَرْقُو خَطِيفْ قَدْ تْرَابْ أَكْحَلْ وَنَظِيفْ عَدُو مْكَيِّلْ بِالحَبَةْ

البُرْجِي يَا سُلْـــــــــطَانْ غِيثْنِي يَا غَـــــــــــــالِي النِّسْبَـــــــة

الشاعر من أتباع الطريقة الرحمانية كتب قصيدته يناجي شيخه بن عزوز ويستغيث به ويتمنى في البداية رؤيته ،فهو يصفه بأنه قادر على محو السيئة لأنه سلطان ونسبه شريف ،ويطلب رضا الشيخ وقت الممات لأنه يمحو السيئات الماضية ،ومزج قصيدته بين مدح لوليه وللرسول —ص– وهو يريد التوبة ولكنه يقول بان بلده بعيدة والتوبة تتطلب حضورة الشيخة بن عزوز.

## 2. الطريقة القادرية

الشاهد:

يقول الشاعر **محمد بن عمر بن كنيوة العشي**[2]:

قدَا الشِّيخْ لَا جَانِي كْلَامْ وَلَا بُوسْطَةْ ولَا رُوَايِدْ[3]

ولُومي على فارس الشأن وجَلُولْ مُولَى الوَعَايِدْ[4]

تزَّعش من حال لأخَوانْ تَـلْعبْ عليهم الرِّفَايِقْ

وفي الشرع لا جار لحْسَانْ وكان صبت زيدوا لُمَّايِدْ[5]

وها الخلق ما فيهم أَمَـانْ واللَّغَفْ* مِنْ فُوقْ زَايِدْ

وباعوا وشروا بإذن سلطان وبالصح ما هوش بايدْ

[1] البوسطة: البريد،روايد: جمع رواد وهو من يأتي بالخبر.

[2] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج4،ص20.

[3] جلول: هوالولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني،الواعايد،جمع وعدة وهي النذر.

[4] لمائد: جمع مائدة .

[5] اللغف: الكلام الهابط

الشاعر من أتباع الطريقة القادرية فقد تغنى بالشيخ الهاشمي شيخ الطرقة القادرية في منطقة سوف.فهو يتحسر لأنه لم يصله كلام ولا رسالة بريدية ولا حتى جاءه رجل ليخبره عن أحوال شيخه.وذكر اسم الولي الصالح للطريقة القادرية وهو عبد القادر الجيلاني الذي ينادونه (جلول) ويذكر أيضا الأخوان وهم أتباع ومريدو الطريقة القادرية .وهذه كلها دلالات على أن الشاعر تابع للطريقة القادرية.

**عائشة بنت اللبة(أو عائشة بنت علي عون)**[1]:

يِسْتَاهَلْ رَايهْ في القُبَّهْ عَـنْ شِيخِي لمِطَاوَعْ رَبَهْ

قُولُو لِي بِشْـــبَاتْ شِي ظَاهِرْ لَا فيه خَتْلَاتْ[2]

قَالُو قُوِيدَرْ عَصْرَهْ فَاتْ وَمَـا عَادْ لْكُمْ حَتَى سِبَّهْ

نَعَيِّطْ عَنْ بحر الدَّزَّاتْ[3] بِجِينِي قُوِيدَرء مِليحْ الصُّرْبَهْ[4]

وتقول في قصيدة أخرى من أروع قصائدها في مدح شيخها[5]:

يْقُولْ الشَّاعِرْ بالتَّرْبِيصْ عَنْ شِيخِي لْغَيِّبْ وْحَانِي

شَتَّوْ في البرد مَحَابِيسْ خـُـدَّامْ الجِيـــــلاَنِي

قُوِيدَرْ حَاضِرْ ما تْدُوخِيشْ آالفـــــَاهِمْ أصْغَانِي

نِي رَاقْدَهْ قَلْبِي حَـــــايرْ نِي رَاقْدهْ في علم النومْ

لَا خوف ولا غَمَايِّرْ ومَا تْخَافُوشِي عَنْ هَشُومْ

---

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص 75-76.

[2] ختلات: مخادعة والتباس.

[3] الدزات:جمع دزة،وهي الحملة الكبيرة.

[4] الصربة: الجماعة.

[5] المرجع نفسه:ج3،ص76.

اللِّي يَفْرَحْ بالبَشَايِرْ وفي مْنَامِي خِيْر مِنْ دِبِيشْ[1]

فالشاعرة تمدح شيوخ الطريقة القادرية التي تتبعها وخصوصا الهاشمي بن إبراهيم والشيخ عبد القادر الجيلاني وتصفه بأنه مطيع لربه فيحق أن يعلق علم فوق قبته لشهرته وتعلية شأنه أكثر وتتعجب من الذين لا يؤمنون بكرامات هذا الشيخ ويقولون بان عصره فات فهو توفي ولم تعد هناك أي أسباب لأتباع طريقته والتقرب من شيوخها وتثبت بان شيخها ما زال يجيبها عندما تستغيث به وتناديه لنجدتها،و تضيف بأنه حتى و أن غاب بسبب الموت فهو يتصل بها وعندها أخباره التي تصلها في المنام وتعتبرها بشرى وهذا ما يصور لنا عمق باعتقاد أهل المنطقة بالمنام والرؤيا فهي تستند على منامها وتعتبره بشرى أفضل من برقية سريعة تصلها من شيخها.

**علي عجيبة[2]:**

بِيكْ نَمْدَحْ يَا سِيدْ النَّاسْ واللِّي نِدْهَكْ مَا تَبْطَاشْ
نَمْدَحْ ونقـــــــول جَابِبْ ذِكْرِي عَنْ جَلُّولُ
طِبْ المِعْـــــــــلولْ لِمْقَرَضْ لِحْقَهْ الــوِسْوَاسْ
فِي كُلْ بُـــــــرُورْ يَرْعَى فِي الكَامِلْ والخَاصْ
نَمْدَحْ وْنْقَـــــــــانِي وَجَايبْ ذِكْرِي عَ الجِيلَانِي
رَاكِبْ سَرْحَـــــــانِي يَا ضَوِي في كلْ أدْمَــاسْ[3]
لَازِمْ تَـــــــعْنَي لِي مِــنْ بغداد لْغَــرْبِي فَاسْ
نْرَوَّحْ لُقْصَـــــادِي واسْمِ الجَاهلْ مَا نْشُوفَاشْ

الشاعر هنا يمدح شيخه فتارة يناديه الجيلاني وتاره أخرى يناديه جلول ويستنجد به فهو طبيب المعلول وهو نجدة (للمضيوم) .

[1] دبيش:لفظ فرنسي والمقصود به البرقية التي تاتي بالخبر السريع.
[2] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص111.
[3] أدماس: الظلام.

ومن هذه القصيدة نستنتج الطريقة التي يتبعها هذا الشاعر وهي الطريقة القادرية وذلك من ذكر شيخها عبد القادر الجيلاني .وكذا ذكر ضريح هذا الولي.

**محمد بن تواتي لكوينيني[1]:**

يَا رَايِسْ الصُّـــلَاحْ[2] مَاكْ سِيدِي عبد القادرْ

تِرْفِدْ إِلِي طَـــــاحْ[3] يَا الشَّـــرْقِي[4] دَوِّرْ لِـــي

شُوفْ يَا مَا ذَا نْرَاجِي غِـــــيرْ انْلَاجِـــــي

غِيثْنِي بْدْوَاكْ سَاجِي تَبـــــــــرُ لِي لجَرْاَحْ

الشاعر يستنجد بشيخه عبد القادر ،ويصف له حالته ويطلب منه الدواء ،وهذا دلالة على اعتقاده بأن شيخه قادر له كرامات فهو يبرئ المريض ويشفي العليل ،فثقافة الشاعر ومن مثله ثقافة دينية قائمة على قدرة الأولياء الصالحين وعلمهم الغيب واستطاعتهم تغيير الأحوال.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج1،ص20.

[2] رايس الصلاح:زعيم الصالحين،أولياء الله خاصة.

[3] ترفد الى طاح، تقيل عثرة من وقع.

[4] الشرقي،المقصود به شيخه،عبد القادر الجيلاني لأنه من جهة الشرق.

### 3. الطريقة التجانية:

**عبد الغني الناع[1]:**

يِنْتَغَنْجَى مَطْرُوبْ فارح بِكْلَامِي فِي القُومْ نَنْصَحْ

بِخْصَالْ الَمَكْتُومْ نشرحْ لَصْـــــحَابِي وَالجـــارْ

كِي جَانِي البَشَّارْ بِبَشَرْ قَلــبي بَلَا جِنْحِينْ فَـرْفِرْ

لْبَلَادْ تْمَاسِينْ[2] سَــافِرْ وِلْحَـــقْ الزِّيَـــــــارْ

فالشاعر في هذا المقطع يتغنى بشيخه ويقول أنه فارح ويصف خصال المكتوم ؛المقصود به الشيخ أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية التي يتبعها الشاعر هذا ما يفهم من مقطوعته انه من أتباع التجانية فهو يذكر تماسين وهي منطقة بها ضريح احد شيوخ الطريقة التجانية.

ويقول في مقطع آخر يثبت أنه من أتباع الزاوية التجانية[3] :

الجُوهْرَةْ والفَاتْحِيَةْ[4] نُـــورْهَا وَضّـاحْ

مَرْسُولة لَّلحْبَابْ هْدِيَةْ مِنْ خَـــالِقْ لَرْوَاحْ

كِي جَانَا النِّبِي العَرْبِي كَمِّلْ يَا مُجِيبْ طَلْبِي

يْعَجِلْ سِيدِي القُبِي واغْفَرْ يا الإلــه ذَنْبِي

وْحَبْ لي للشيخ نَسْبِي سُلْطَانْ الصُّـــلاحْ

---

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج4،ص32.

[2] تماسين، بلدة من ضواحي تقرت بها ضريح وزاية الشيخ الحاج علي بن الحاج عيسى الينبعي التماسيني

[3] المرجع نفسه: ص33.

[4] الجوهرة والفاتحية،كلاهما الصيغة من صيغ الذكر بالصلاة على النبي –ص-.

مَنْسُوبْ حِمْدانْ سيدي بنْ حَمَّهْ هلال عِيدِي

وابنْ النَّاعْ عليك يمدحْ منْ عندك مَأذُونْ مْسَرَحْ

يفتخر الشاعر في هذه الأبيات بنسبته للأحباب وهم أتباع ومريدو الطريقة التجانية. ويمدح في الجوهرة والفاتحية ،وهي صيغ الذكر والصلاة على النبي ،ويقول بأنها مرسولة لأصحاب هذه الطريقة هدية من الله الخالق. وهو يطلب أن يحبه الشيخ بسبب نسبته إلى الطريقة ويقول بأنه حتى قوله للشعر ومدحه للشيخ مرخص من طرف شيخه الذي يتبعه وهو أحمد التجاني.

**نصر الحجاجي[1]:**

يا سَعَدْ لِتَبَعْ بنْ حَمَّهْ نَاجِي من كل بَلْـوَاتْ

بَشِّرْ أحْبَابَهْ تْتْهَـنَى بِأحْمد مفتَاحْ الخَيْرَاتْ

تبع لزرق تمنعْ قِيتْ مِـنْ رَبِّ لَا مَا يَاتِيـكْ

رَاوْ بعينه سارح بِيْكْ دَايْر لِكْ وَرْدَهْ مِنـعَاتَ

وِينْ تْنَابِي عنه يْجِيْكْ حَاضرْ ديمه لَا يخَطَاكْ

تَبعْ لَزْرِقْ تَمْنَعْ ظَاهِرْ كَانَهْ قلبك صافي طَاهِرْ

صَدَّقْ القوَّالْ الشاعرْ أصْفَى مَا تْكُونِشْ هَتْهَاتْ

تَبعْ لَزْرِقْ صِيْد الدَّاعَر[2] بَرَا لَهْ يَعْطِيـــكْ دْوَاكْ

بدأ الشاعر قصيدته بدعوة إلى أتباع الطريقة التجانية لأن بن حمة كما قال أحد خلفاء الزاوية التجانية بتماسين فهو يعتقد أنه من يتبع شيوخ هذه الطريقة سوف ينجو من كل البلاء والمصائب فالشيخ يرعاك والورد أي الذكر الذي يقولونه هو حصن يقي قائله ويحرصه .وأولياء الزاوية دائما حاضرون متى استنجدت بهم أجابوك وينصح بالصفاء في العقيدة ويقصد الاعتقاد في الأولياء

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص92-93.

[2] الصيد الداعر، الأسد الهصور.

والابتعاد عن الجدل والتساؤل ،فالشاعر يعدد خصال شيخه الحميده ويصفه بالكمال ويمجد الطريقة التجانية ويدعو لأتباعها.

إبراهيم بن سمينة[1]:

نَنْدَهْ في مُولَى السَّجَاده يجْي لَوْلَادَهء يَلْفَى لِي مَعْجُولْ
يرَكَبْ عنْ حَمْرَا مُوقَادَهْ مِشْ مْكَادَهْ مْ عِنْدَ اللَه مَقْبُولْ
سِيدِي أحمد والحاجْ عَلَيَّة كْبَارْ الجَيَّةْ يَلْفُولِي فِي الحِـينْ
واللِّحْيَةْ سُودَهْ زِنْزِيَة فِي السِّدْرِيَة رِيشَةْ بُوجَنْحِـــينْ
خَدَهْ بَرَقْ اللَّوَحْ ضَيَهْ ضِيفْ عَشِيَة قَبْلَة بِيرْ عَـــوِينْ
وَالَمَضْحَكْ فِضَّةْ غَرْبِيَةْ فِي السِّينِيَةء بَـــرَّادْ وْكَاسِينْ
واصْبَا عَهْ بِسْرَاتْ هَدِيَةْ فَزَانِيةْ[2] تْطِيبْ مَع السِّتِينْ

الشاعر في هذه القصيدة يمدح شيخه وينابديه مولى السجادة وهي إشارة إلى الخلافة في الطريقة بمثابة العرش للملك ويستنجد به ويقول بأنه يأتي سريعا ولا يتأخر عن أتباعه فهو يحضر بفرس أحمر مذللة للركوب وهو يتوسل بالله وما جاء من عباده وهم علي وأبناء فاطمة الزهراء ثم ينتقل إلى أولياء الصالحين زعماء الطريقة التجانية سيدي أحمد التجاني والحاج عليه وهو تصغير لاسم علي المقصود به الحاج علي التماسيني رفيق الشيخ أحمد التجاني ومساعده وفي المقطع الوالي بدا يصف في شيخه بأبهى الأوصاف وأجملها وكأنه يتغزل به ويصف محاسنه مبتدئا بلحيته شديدة السواد والناعمة فهو شبهها بريش الطير ،وخده كأنه البرق في ضيائه فهو يظهر من بعيد من شدة النور ،وشبه مضحكه أي أسنانه الأمامية التي تظهر عند الضحك كأنها الفضة من حيث لونها أبيض لامع وشبه شكلها كأنها إبريق وكأسين فهو استعار الإبريق والكأسين من المنطقة لأن أصحاب المنطقة مشهورون بشرب الشاي وحبهم له واعتنائهم بلوازمه من إبريق وكؤوس.

[1] أحمد زغب :ديوان إبراهيم بن سمينه،رابطة الفكر والإبداع ،الوادي ،الجزائر،(دط)،2004، ص77.

[2] فزانية: نسبة إلى فزان وهي مدينة فيلا القطر الليبي.

ثم انتقل إلى أصابعه وشبهها (بالبسرات) وهو الرطب أي التمر قبل نضجه ويعرف البسر بلونه الأصفر الذهبي ،فالشاعر شبه شيخه بالبسر للونها الذهبي اللامع والبسر أيضا معروف عند أهل المنطقة لغنى المنطقة بالنخيل ،فالشاعر اعتمد على أوصاف حسية أتى بها من بيئته ووسطه ليصف بها شيخه ويصوره لنا بصورة جميلة ودقيقة.

**سي عبد الله بلقاسم[1]:**

سَعْدِي بِالْمُخْتارْ رِيتُو مُحَمِدْ و أَحْمِدْ سِيدِي

عَاهِدْنِي وقبلتْ شَرْطُو فَتحَتْ ومَدِيتْ إِبدِي

ويقول في معرض الاعتزاز بشيخه[2]

نَبْدَأْ باسْمِ نَايِبْ آ الطالبْ واللِّي عِنْدَهْ شيخ راه يَتْـــــعَزِزْ بِه

نَادرِتْ المكْتُومْ صاحبْ آ الطالبْ واللِّي يَصْحبْ بطلْ كِيْفْ يْصُدْ عليهْ

وَلَوْ كَانْ عَسَاكِرْ تِحْرِبْ آ الطالبْ سِيدِي أَحْمدْ هُو سْلَاحْي نغلبْ بيهْ

من صُولْتُو العِدْيَانْ تُهْرُبْ آ الطالبْ لَاعُمْرِيشِي غَابْ حَتَّانْ نْنـــــادِيهْ

لَا عُمْرِوشِي غَابْ حَيْدَا كِيدْ العَدَا وُجْهْ الجنة سَعْدْ منْ يَصْبَحْ فيـــــهْ

الشاعر في هاتين المقطوعتين يمدح شيخه ويعتز به ويعلن انتماءه للطريقة التجانية ويقول بأن من له شيخ يتبعه فانه يفتخر به وهنا بيان على وجود عدة مشايخ وعدة طرق صوفية في المنطقة وأنه لكل طريقة و أتباع وشعراء يتغنون ويمدحون ويعتزون بشيوخهم .

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج1،ص62.

[2] المرجع نفسه،ص62.

فالشاعر يعتبر شيخه (المكتوم) كما سماه بطل وأسد يستعان به في الحروب فهو يحضر عند الحاجة ولا يتأخر وشبهه بعلي –كرم الله وجهه- في شجاعته وإقباله على الحروب ضد العدو واستعار له أحد أسمائه حيدر لينديه بهذا الاسم الدال على الشجاعة والأقدام.

وأصيب الشاعر بعلة أواخر حياته فقال مبتهلا إلى الله متوسلا بشيوخه من أولياء الله الصالحين وهو يعتقد أنهم سيساعدونه لما لهم من جاه وقرب من الله.ويقول[1]:

سِلْتِكْ يَا خَـــالِقْ الكُونْ يَا عَـــالِمْ مَا كَانْ

بِي سَالِتْك بالعَدْنـــــانْ خَـــاتم الأنبياءْ

وسِيدِي أَحْمدْ غَالِي الشَانْ رَايِسْ لُولِيَـــا

وْصَلِنِي فِي لَامـــــــانْ لِمْنَازِلْ عَلِيـــا

هَزْ ثْقَالِي نِرْتَاحْ نَبـــرَا نَبْرَا مِ لجَّـــــرَاحْ

عَبْدِكْ مُومُنْ نَصَـــــاحْ يَا غَفَـــــارْ السْيَهْ.

بدأ الشاعر قصيدته بسؤال الله سبحانه وتعالى وهو عالم كل شيء ،ثم سأل الله وتوسل بالعدنان محمد خاتم الأنبياء ،وبعدها في الدرجة الثالثة بدأ بالتوسل إلى شيخه رئيس الأولياء ،وهو أحمد التجاني وذلك اعتقادا منه بأن شيخه بكراماته سوف ينفعه ويوصله كما يقول إلى منازل عالية ويساعده على حمل الأثقال التي أثقلت عاتقه. ومن هذه المقطوعة نستنتج اعتقاد الشاعر الكبير في قدرة شيخه وتعلقه به وتمسكه بعقيدته القائمة على حب الأولياء الصالحين والإيمان بكراماتهم وقدراتهم.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج1،ص64.

**استنتاج:**

"لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن 19م سيطرة مذهلة"[1].وهذا أثَّر في فكر المعتقدين بهذه الخرافات العقلية وربما تعود خلفياته إلى ترسبات الحضارات المتعاقبة عبر التاريخ الطويل،وبالمقابل هناك الجانب الإيجابي في هذه الممارسات والطقوس ،التي ساهمت في الحفاظ على توحد المجتمعات والعائلات ،أو ما يعرف بالتماسك الاجتماعي ،لا سيما بعضها مصدره تعاليم الدين الإسلامي.فالمنطقة مزيج من الطرق الصوفية وهذا ما وجدناه في الشعر الشعبي بحيث حاول كل أتباع طريقة التغني بشيخهم وإثبات أنه الأقوى والأقدر على الاستجابة والحضور عند الحاجة ،وهذا ما أدى في كثير من الأحيان إلى نزاعات شديدة قامت بين أتباع الطرق الصوفية ،وهذا ما جعله موضوعا خصبا أبدع كل شاعر فيه ليصف شيخه ويمدحه ويظهر كراماته وقدراته التي يتميز بها عن غيره.

[1] عمار الطالبي:كتاب أثار ابن باديس ،المجلد الأول،ط1، 1968 ،الجزائر،ص18.

## III. مظاهر اقتصادية:

**تمهيد:**

لقد وصف الشعر الشعبي مظاهر اقتصادية عديدة فرضتها طبيعة منطقة وادي سوف؛المتميزة بقساوة مناخها وظروفها الصعبة .فقد اعتمد اقتصاد المنطقة على الزراعة والرعي بحكم المنطقة الصحراوية البدوية وبالأحرى اعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى، وخاصة منها زراعة النخيل "التي تعد عصب الحياة الاقتصادية لأهل المنطقة" [1].فقد اعتبرت النخلة أحد أعمدة الحياة عند سكان المنطقة فهي ليست شجرة فحسب بل هي رمز حياة فمنها يقتاتون ومنها يشربون ومنها يحتطبون ومنها حياتهم قائمة فقد وقعت علاقة حميمية بين الإنسان السوفي والنخلة استنادا إلى الحديث الشريف"عمتكم النخلة"وقد أُعتمد على ثمارها في الغذاء والدواء ومن دونها يظل الإنسان جائعا مهما حاز من أنواع الأطعمة استنادا إلى قوله –صلى الله عليه وسلم- "بيت بلا تمر أهله جياع"كل هذه المميزات جعلت النخلة تميل إلى القداسة وعلاقة الإنسان السوفي بها علاقة مقدسة تستند إلى مرجعية دينية فهو يربيها ويحميها وكأنها أحد أطفاله وهذا ما وجدناه في الشعر الشعبي الذي سنعرضه لاحقا. وقد تعلق الإنسان السوفي أيضا بالإبل"ففي وادي سوف و في زمن ما،لا تكتمل رجولة الرجل إلا إذا كان مالكا لعدد من الإبل والمستحسن سرعوفة(مجموعة تفوق العشرة) وجبذة(جزء غوط النخيل يتجاوز عدد النخيل بها عشرة)من النخيل ،فالإبل هي كل شيء في حياة البدو والجمل هو الحيوان المدلل وهو السفينة العائمة في بحر الرمال وهو الحليب واللحم والوبر والمورد المالي الدائم، فلا عجب إذا استحوذ هذا الحيوان العجيب على قلوب البدو وكان موضوع أشعارهم فقلما يوجد شاعر لم ينظم قصيدة حب وتقدير وعرفان لهذا الحيوان"[2].

[1] مكاوي عون،سرداني عمار،سباق بشير:هجرة سكان سوف إلى العاصمة،ص32.

[2] بن علي محمد الصالح ،حمادي محمد النافع:الشاعر الشعبي الساسي حمادي،ص60.

**-النخـــــــــــــــلة:**

**يقول علي عناد[1]:**

إذَا كانْ أَصْلكْ حُرْ مَاكِشْ دُونِي هَاتْ غَلْتِكْ ونْشُوفِهَا بِعْيُونِي

جَبَّارْ مِتْرَادِغْ بِدِي يِتْعَلَى اتْبَسِمْ ظَهَرْ الطَلَّعْ من الجمارْ

فَسَخْ فِدَقْ لِيفَهْ جرِيدَهْ حَلَّهْ عَ لْرِضَ كَهَّبْ مَيِّزْ ثلث أشبَارْ

فِي النَّزْ والسَّمَاشْ رَابِخْ ظُلَّهْ حَـــــازْ التِّقَى لَا رِيحْ لَا غُبَارْ

في أرضْ الكرمِ ضَرَبْ يِتْسَلَّى خِدْمَهْ وِلْـــــــد فَلَاحْ من لِخْيَارْ

منْ البِعْدْ فَارِزْ يعجبكْ في الطَلَّةْ مَحْفُـــــــوظْ دِيَمَهْ سَاتْرَهْ السَتَّارْ

لَرْبَعْ إقْبِلْ كَدِسْ حَفَلْ بِالغَلَةْ وكِي اِتْقُومَهْ أكثر من القُنـــطارْ

لَا سِيشْ لَا مَعْقُورْ سِمَحْ اِبْكُلَهْ غَلْتَهْ نظيفة من خِيَـــــــار ثمارْ

إقْطَعْ وُلَمِدْ خِيرْ ما شـــاء الله خَـــزَنَتْ وَلَا بِعْـــــــتْ للتُجارْ

كَانْ بِعْتْ شَاوْ[2] السوق مَا تِتْخَلَى أَخْلَصْ إذا حبيت بالـــــــدولارْ

القصيدة طويلة لكننا اقترنا على كتابة جزء منها فقط ،لقد ارتبط الشاعر بالجبار (الغرس الضارب) وهو نوع جيد من النخيل ارتباطا وثيقا جعله يحاوره ويحدثه وهذه القصيدة تحكي قصة الشاعر مع النخلة "فبعد أن غرس الشاعر جبارا صغيرا في بيته في ربيع 1993م جلس بجانبه وتخيل أن هذا الجبار نما وكبر وغطى جريده مساحة البيت ،وهكذا تخيله وهكذا وصفه،وهكذا وصف قصة عشقه الشجرة المباركة "النخلة" ...وعبر عن حبه في القصيدة ،و انه لن يتنازل عن غرسه ولو قايضوه

[1] بن علي محمد الصالح،علي عناد،ص87.

[2] شاو:أول.

ببلد كامل،فهو كنزه وراحته ومعاشه وهو كل شيء له" [1].ففي القصيدة يحاور الشاعر النخلة وكأنه يتكلم مع قريبه أو ابنه ويخاطبه قائلا إذا كنت إني أصلي شريف ولست وضيع هات ثمارك لأراه بعيني وأثبت لك أصلك الطيب فالشاعر شبه النخلة بالإنسان وحذف الإنسان واستعار مواصفاته (الأصل) ليطبقها على هذه النخلة التي لا تسمع ولا تفهم،وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.لكنه من شدة حبه لها وقربها منه أصبح يتخيلها تسمعه وتفهمه.ويواصل وصفه لنخلته بأحلى الأوصاف وأجملها فهي مترادعة أي لا طويلة ولا قصيرة،وهذا هو الغرس المطلوب والمحبوب عند الفلاح،ويصف بعد ذلك ثماره وشكله وأنه من أحسن الغلال حتى أنه خاف عليه من أعين الحاسدين من شدة جماله وروعته وتمنى له الحفظ والستر من الله وهذا ما يفسر اعتقاد الشاعر وأصحاب المنطقة بالعين الحاسدة وخوفهم منها على أنفسهم وعلى ممتلكاتهم ومن كثرة ما بالغ الشاعر في هذه الأوصاف حتى يتخيل القارئ أن الشاعر يصف ابنه أو يمدح حبيبه لكنها النخلة وهي التي تبوأت هذه المكانة العالية عند الشاعر وعند أهل المنطقة فالنخلة منها الظلال والثمار وهي مورد مالي مهم كما يقول الشاعر أن التمر بالدولار يباع ،ثم ينتقل الشاعر إلى الجانب المعنوي والحسي ويعتبر النخلة مونسة ورفيقة في الظلام وصديقه الوفي في الشدائد وحامل همومه وآلامه وقد اعتبر الشاعر حبات التمر وشربة ماء تكفيه للعيش وتغنيه عن المال والبنك ويحمد الله الذي أغناه ويسر عيشه وابعد عنه الدين والحاجة بسبب هذه النخلة الحبيبة .فالشاعر في هذه القصيدة التي يطول شرحها ولكننا اختصرنا وحاولنا أظهار العلاقة الحميمة بين الشاعر والنخلة والذي اعتبرها صديقا ومأكلا ومشربا وظلا... وهذا ما عكس لنا اعتماد أهل المنطقة على هذه الشجرة التي يمكننا القول أن اقتصادهم قائم عليها بجميع أجزائها.

[1] بن علي محمد الصالح:علي عناد،ص87.

**يقول شاعر مجهول**[1]:

يَا نَخلةْ أم العرجونْ وقلب حنون

اِيوَاتِيكْ الشعر الملحـــــــــــــونْ

تَواتيكْ أشْعَارَه نخلة حَفَلْتِي بالسطارة

وغلل خياره من الحاضر والمخـــــزون

وفلاحك جاره اراقب دايم ممحون

يا نخلة عز الفلاح النفاح خدام عشيه وصباح

عمل متقون هذا يبشر بالنجاح انتاجه مضمون

حفلتي بالسطارة وضلاعك جارج من الجمارة

وابيض واخضاره متغذي ايبدل في اللون

ومن بعد اصفـــــــاره معمر مدربي مـــــوزون

النخلة العمـــــة وصى عنها سيد لمه

في لسنين الزمـــة هي متخليش المغبون

أتعز النخلة ضد الشر نصيب أغذى من التمر

بدأ الشاعر قصيدته بمدح النخلة ووصفها بالقلب الحنون وذلك تشبيها لها بالإنسان أو بالأحرى (الأم ،الأخت) لأنها هي التي توصف بالقلب الحنون فالنخلة بثمارها وظلالها حنونة على الإنسان فالشعر ،ويناسبها كما قال الشاعر أي تستحق أن يقال فيها شعر وهي جديرة بذلك.ثم انتقل

[1] العربي الجديدي:من التراث الشعبي السوفي ،مطبعة مزوار الوادي ،ط1، 2013، ص83.

لوصف صفوف النخيل وكيف تبدو جميلة ورائعة وغلالها وصورها لنا أحسن تصوير وكأننا عند قراءة الشعر من دقة الوصف نرى هذه الواحة أمامنا بنخيلها وعراجينها المملوءة بالتمر ولونه الأصفر الذهبي. ثم انتقل إلى علاقة النخلة بالإنسان مستندا إلى الحديث الشريف:"أكرموا عمتكم النخلة " فالنخلة أوصى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ومنه فقد انتقلت العلاقة إلى علاقة دينية مقدسة دعا إليها الإسلام وبما ناهل المنطقة محافظون على دينهم وحريصون على إقامة شعائرهم فإنهم أحبو النخلة وقربوها إليهم استنادا إلى الحديث السابق فالنخلة في سنوات الجوع والأزمة سدت رمقهم وأغنتهم عن كل المأكولات ،فهذه القصيدة وصفت العلاقة القائمة بين الإنسان والنخلة وشرحت لنا أهميتها عند أهل المنطقة كونها موردا اقتصاديا هاما بالنسبة لهم.

**يقول أحمد الذهبي[1]:**

ليْا كنتْ فَاهِمْ ودَبَّـــــارْ خَـــــلِ لولادك وصيّةْ

اللي يكسبْ يكسبْ جَبَّارْ فِي الطيبـــــة والقَوِيَةْ[2]

قلبَهْ طِلَعْ دارْ جُمَّـــــار[3] جَابِبْ عَـــــرَاجِينْ نِيَّةْ

لَا جَا قِبْلَةْ أَسْطَـــــــارْ لَا مَـهَـــوْدَهْ عَنَّهْ ثِنِيَةْ

هذَا كنزْ وَعْمَـــــــــارْ خَـــلِيهْ لَوْلَادِكْ وَصِيَّةْ

استهل الشاعر قصيدته بتوجيه نصائح لعامة الناس بأن يوصوا أولادهم بامتلاك النخيل لأنه من أفضل ما يكسب الإنسان ولأنها مصدر رزق كبير وأحسن طريقة لكسب المال وتوفيره ،فالشاعر هنا اظهر لنا الجانب المادي الذي نستفيده من النخلة وهو المال ثم واصل وصفه للنخلة والتغني واعتبارها كنز لا

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص28-29.

[2] الطيبة والقوية: من أراد أن يمكتلك جبارا فليمتلك النخيل الفتي سواء في أرض صلبة أو ذات مياه عذبة.

[3] الجمار: قلب النخلة الأبيض ذو الطعم الحلو.

يفنى ،واعتبر من لا يملك النخيل كأنه عقيم وذلك بقوله (عمار) وهذه الكلمة تعني الأولاد عند أهل المنطقة فقد شبه الشاعر النخلة بالولد واعتبر الذي لا يملك نخيلا كأنه عقيم ليس له ولد .

وما نستنتجه أن الشاعر أعلى من قيمة النخلة إلى درجة الولد

ويقول **العربي بن الطاهر دوقة**[1]:

غِيرْ إِخْدَمْ عَلى الحشانْ في الدنيا والاخرة مُضْمَانْ

توّاكي نَغْنَى من بَلْحَقْ وَأطمعتِ وإن شَا الله نَلْحَقْ

كِي عُدَتْ نَرْقَى ونْحَدِرْ بِعْلَاقْتِي على الحَـــــشَّانْ

حَشَانِي دَايِرْ ضُبَـــــابَة كِي تَكَلّمْ العَرْبِي وأَصْحَابَهْ

يَارَبِ مِتْمَنِي غَابَـــــــةْ وَحُوشْ عَلَى رُوسُ الكِيفَانْ

نَايْ هُودِي بَلَادْ قَوِيَة مَاهْ طَيِّبْ وأَرْضَهْ طِيـــنيةْ

يُقَلكْ شِي دَمْ الضحية اللِّي ضَحضى بِيهضا السُّلْطَانْ

كِيفْ اسمعْ بِي سِيدِي قال لي ريحْ يَا شُومَـــــانْ

حِينْ نَادِيتْ نَخْدَمْ فِي هُودِي تَوَكَلِتْ وَدِرِتْ مَجْهُـــــودِي

اللِّي عَمَلْ عَ رِزْقْ وَلَدَيْهْ يَعْطِيهْ نَطْـــــحَةْ عَلَى سِينِّيةْ

ولْخُرَى تْيجِهْ للنِيبـــــَانْ والعَرْبِي صَـــــــارِتْ عَلِيهْ

وَاشْ نْقُلْ كُمْ يَا أَوْخَيانْ.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص73 .

بدأ الشاعر قصيدته بأمر وهو خدمة النخيل لأنه عمل مضمون في الدنيا والآخرة أي له نتيجة ايجابية في الدنيا وهو تحصيل الثمار والمال من خلال بيع التمر وأخرى في الآخرة لأن النخلة الشجرة المقدسة ذكرت في القرآن والسنة فالشاعر استعمل ثقافته الدينية ليأمر الناس بالاعتناء بالنخيل ،واخذ الشاعر يتمنى الغناء بعد أن يكبر حشانه ويجني ثماره ويبيعه ويحصل على فائدة .وفي الأخير ينصح الشاعر كل الناس بأن تعمل وتأكل من عرق جبينها ولا تتوكل على ملك الوالدين ويدعو على الطماع الذي ينتظر نتيجة عمل الآخرين حتى وان كانوا والديه ينطحه (وهي ضربة من الشاة) على أسنانه وهنا دعوة للعمل والابتعاد عن التوكل على الآخرين فالعمل شرف.

**-الإبـــــــــــل:**

يقول **ناجي بوعزة**[1]:

نُطْلَبِكْ فِي عَشْرةْ مْتَانْ

جُمْلَهْ ربِعَانْ

والفَحَلْ مْشَكَلْ فِي الذُود يْدُورْ

مِن الغَنَمْ مَراحِي مَلْيَانْ

تْكِيدْ العَدَّانْ

وَلمالي شبان ذكور

مِنْ النَّخِيلْ نْملكْ فِصْحَانْ

ثَايِرْ فَدَانْ

وَالجَرِيدْ مُتْخَالِفْ لَا ظِلْ يِدُورْ

ثم في حياتِي نُرْقَدْ مُطْمَانْ

نَعْطِي لَمَانْ

ما يِدُورْشِي بِي مَنْعُولْ.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج3،ص43.

في هذه المقطوعة يطلب الشاعر ربه ويعتقد استجابة طلبه ،فهو يطلب من ربه أن يرزقه قطيعا من الإبل وقطيعا من الغنم يملا الإسطبل حتى أنه لا يستطيع عدها ،ويساعده أهله وأولاده على رعاية هذه الأغنام وتربيها ،ولم يكتفي بهذا الرزق الكبير بل يطلب من ربه واحة من النخيل ظلها دائم لكثرة عدد نخيلها وكثافة الجريد فيها إلى درجة حجب أشعة الشمس .

وبعد هذه الطلبات يقول الشاعر أنه سينام مطمئنا لا يقترب منه الشيطان ولا يوسوس له ،فرزقه مضمون وأولاده معه وسعادته قد اكتملت كما قال سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ الآية 46 .

فالشاعر هنا أوضح لنا أن الاقتصاد قائم على الرعي والزراعة ذلك راجع لطبيعة المنطقة الصحراوية ومناخها القاسي الذي فرض على سكانها هذا النوع من العمل فغراسة النخيل التي أبدع فيها الإنسان السوفي وتكيف مع بيئته فعوض أن يحفر الآبار ويجلب الماء لسقي النخيل وهذه عملية شاقة .حفروا لها الغوط والهود من أجل تقريبها من الماء"والغوط أو الهود هو منخفض واسع في أرض رملية قد يصل انخفاضه لأكثر من 10 أمتار تزرع فيه النخيل وبعض الزراعات المعيشية ،في طريقة مغايرة للسقي اعتمدها أسلافنا في قديم الزمان ،فعوض عن رفع المياه لمستوى المزروعات تم إنزال النخيل لمستوى الماء. بطريقة تعتبر أبدعا شبهه بعض من زار المنطقة بما قام به الفراعنة ،فهؤلاء بنو الأهرام إلى الأعلى وسكان المنطقة حفروها إلى الأسفل"[1].

**يقول الساسي حمادي[2]:**

كَسَبْنَا غَدَايِدْ إِبِلْنَا والنَاقَةْ مَدَى الدَهْرْ دِيَمَهْ رُفَاقَهْ نِمْلِكْ خُيُولء السَابَقَهْ حمَّاقهْ

كِسَبْنَا غَدَايِدْ إِبِلْهضا واذْوَادْ يِتْنَقْمَرْ عَلِيهَا فَحَلْهَا

مَرْتَعْهَا زُمُولْ الرمل وامْدَاخِلْهَا مَخَالِيلْهَا فِي عْقَابْهَا تِتزاقهْ[3]

[1] ج كوفي :غراسة النخيل في سوف، تر:عبد القادر ميهي ،مطبعة مزوار الوادي،ط1، 2013 ، ص8.

[2] بن علي محمد الصالح ،حمادي محمد النافع:الشاعر الشعبي الساسي حمادي،ص60.

[3] زمول الرمل:الكثبان الرملية العظيمة ،امداخلها:وهي المنعرجات والفجوج المتشعبة ،مخاليلها: وهو ولد الناقة في السنة الاولى،تتزاقه: وهو الصياح.

مهما أصعب الرمل ما أحصلهَا حِنِّي بَدُو ومراحيلنا سَواقَهْ

حِني بدو أهل الخيمـــة مـــن أجدادنا منذ سنين قديمهْ

حِني بَدُو أْهل الخِيمـــهْ مْـــنِ أجْدَادْنَا مُنْذ سْنِينْ قْدِيمَهْ

العرب أهل البدو عدهم قيمة رجال اللي اقدو الحرب والطقطاقه[1]

والخيل عند العرب حاجة عظيمة بسروج واركاباتها بـــــــــراقهْ

اصْل العَربْ رجّـــــــــالهْ فَرَاسِينْ جِمْلهْ نَرِكْبُوا الخيـــــــالهْ

البلْ هِي تِسْعِـــــــدْناَ والبِلْ هِي كِسْبِتْنَا ومَقْصِـــــدْنَا

والبِلْ عنْهَا نَرِحْلُو تُعْضُدْنَا تحملْ اثقالْ اجحافنا وعـــــلاقَهْ

وعَوِينَا وامْيَاهْنَا تَلْحَقْنَا نْجُوب حماد سْرِيرْنَا ورَقْـــــرَاقَهْ

كسبنا غدايد ابلنا والناقة مدى الدهر ديمه رفاقه نملك خيـــول السابقه حماقه

في هذه القصيدة يفتخر الشاعر بكونه عربيا بدويا يجوب الصحراء بحثا عن الكلأ والماء مستعملا في ذلك الإبل التي وصفها بأحسن الأوصاف فهي قوية وتتميز بمشيتها السريعة في الرمال على الرغم من صعوبة المشي فيه وواصل افتخاره بعروبته وبما تتميز به حياتهم من شجاعة وشهامة ونصرة للمظلوم وإقبال على الحروب وأن سعادتهم تكتمل بتواجد الإبل والخيل ففيها نزهة بالهم وعليها يتدللون فهي تحمل أثقالهم ومياههم وعيونهم أي مأكلهم وعليها يسافرون إلى الأماكن البعيدة في غياب وسائل النقل الحديثة.فقد أوضح لنا الشاعر في هذه القصيدة الأهمية الاقتصادية للإبل في حياتهم فهي وسيلة نقل وحمل للأثقال كما يستعمل الجمل في البحث عن مواطن الكلأ في الصحراء لرعي الغنم لأنه يتميز بقوة ذاكرته وصبره على التعب والعطش.

يقول **علي عناد**[2]:

أنا فرحانْ ما عندي خللْ جيتْ نشاركْ في عيد الجملْ

كاينْ جْمـــــــــالْ باشْ تشريه واشْ تدفعْ حلالْ

[1] الطقطاقة: صوت الرصاص وما شابهه.

[2] بن علي محمد الصالح ،علي عناد،ص81

كانْ هزيتْ واشْ عندكْ أثقالْ وكان هديت في ذودك فحل

احجلْ شبهْتهْ مثلْ الغزالْ مْزيَّنْ طلْته إذا بانْ طــلْ

إلْياَ كـــــــــان زام[1] عُقْبْ الليل والدنيَا ظَلاَمْ

مياتْ ناقه مجمولة تمامْ اتلقحْ منه اتردَّسْ الكلْ

من حقَّهْ يا ناسْ ذبْحانهْ حرامْ حتى يموتْ نبْنُولهْ محلْ

اسْمَهْ الكُـــــــــــوتْ سفينة البر حقه ما ايموتْ

نصفْ شهرْ ما اذُوقَشْ القوتْ قنطارين على ظهره احْمِلْ

في أرض خالية يعقب إفُوتْ في لوعارْ واشباكْ الرَمَلْ

شوفْ العجـــــــــبْ سبْع أيامْ ما يشرَبْ أغَبْ

يفتخر الشاعر بمشاركته في عيد الجمل ويعد هذه المشاركة تزيده اعتزازا ومكانة وإن دل هذا فإنما يدل على المكانة المرموقة التي يحتلها الجمل عند أهل المنطقة حتى أن الشاعر يرى بان الجمل يستحق الغالي ومهما دفعت لشرائه فذلك حلال لأنه يقدم خدمات عديدة فهو يحمل الأثقال ويقطع المسافات البعيدة ومن شدة إعجاب الشاعر بالجمل شبهه بالغزال ،وحرم ذبحه وبالغ في ذلك إلى درجة إقراره بأن يبنى له محلا فوق قبره وكأنه الوالي الصالح أو الشخصية المهمة وكل هذا من باب التقدير والاحترام وذلك لصبره الشديد فهو يبقى لمدة طويلة تقدر بنصف شهر أو أكثر لا يذوق الطعام وسبعة أيام لا يشرب الماء ومع ذلك فهو يقطع المسافات ويحمل الأثقال.

ويعتبر الشاعر صوته الذي شبهه بالرعد مذهبا الفقر ومسهلا للرزق.فامتلاكها —الإبل– كلها ربح فوجودها في البيت تحل معه البركة وتغني أهل البيت .

من هذه القصيدة نستنتج تقديس أهل المنطقة للإبل وتعظيمهم له بسبب ما يقدم من خدمات تساعدهم على العيش في منطقتهم الصعبة فهو يسافر لمسافات طويلة ويتحمل الجوع والعطش كذلك يتميز بذاكرة قوية تساعده على حفظ الطريق والأماكن بالإضافة إلى ما يعطيه من ألبان والأوبار التي

[1] زام: صوت الجمل.

تصنع منها الملابس التي تقي حر الصيف وبرد الشتاء .فهو عنصر أساسي في حياتهم يقوم عليه جزء كبير من اقتصادهم.

**استنتاج:**

من الواضح أن الماء والأرض هما من أهم المصادر الاقتصادية التي اعتمد عليها الإنسان قديما وحديثا استنادا لقوله تعالى:﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حيا﴾[1].

ومن خلال دراستنا للشواهد الشعرية السابقة نستنتج أن المنطقة بدوية زراعية يعتمد عليها السكان في المأكل والمشرب وحتى بعض الصناعات البسيطة استمدت مواردها الأولية من النخيل فمثلا صناعة القفف والزنابيل من سعف النخيل... ،ونجد كذلك اعتماد الإنسان السوفي على الرعي والثروة الحيوانية خاصة الإبل فقد اعتبر الجمل صديقا حميما للإنسان لما يتميز به من صبر و طاقة تحمل وذاكرة قوية وهذا لا ينفي وجود صناعات تقليدية بسيطة قامت في المنطقة مثل النسيج وصناعة السعف ...لكن الاعتماد الأكثر كان على الزراعة والرعي والاحتطاب وهي مهن تكون طبقة الفلاحين كما سماها هي مهن بسيطة اقرب إلى الطبيعة لذلك ينتحلها البدو البسطاء وهي مهن سبقت الصناعة والتجارة...[2].

[1] سورة الأنبياء، الآية 30.

[2] ينظر: سنوسي صليحة، السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري،دكتوراه(مخطوط)جامعة أبي بكر بلقايم،تلمسان،الجزائر،ص111.

## IV. مظاهر اجتماعية:

### 1 – مكانة المرأة:

شغلت المرأة حيزا معتبرا من الشعر الشعبي ويفسر ذلك أهمية الدور الذي تقوم به ولا سيما على مستوى الأسرة فهي أم ،أخت،وزوجة،...فالمرأة بكل هذا الحضور تعد الركن الذي لا يستقيم المجتمع من دونه فهي تشكل نصف المجتمع والنصف الآخر يتربى في حضنها ،فالمرأة بهذه المكانة حاضرة في الشعر الشعبي وبصور متعددة وملامح مختلفة تعكس طبيعة المجتمع ونظرته للمرأة التي يستمدها من المرجعية الدينية بالدرجة الأولى والأعراف والتقاليد الموروثة من ناحية أخرى وهذا ما سنحاول معرفته من خلال الشواهد التالية:

يقول **شاعر**[1]:

الوَالْدة مِنِّك سِبَايِبْ دَايَة وِيشُوشْ خاَطْرِي كِي يذُكْرُوكْ حْذَايَا

نِي مَاشِي لِلْهَـــــــــا وِنِي عِنْدِبَالِي وِينْتَه نُوصِلْهَـــــــا

مَاذَا دَارتْ الخِيرْ لهـ يُنْصُرْهَا وُنَارْهَا لهيبَة سَاكْنَة فِي عَضَايَـــا

نِي مَاشِـــــــي مِزَارِبْ وِنِي عِنْدِبَالي الوَالدة فِي مْضَـارِبْ

ونِزْلِتْ عَلَيَّا كِالجُرُحْ الغَارِبْ جِيبُو كَاشْ طُبِيبْ يِعْرِفْشِ دْوَايَا

تحدث الشاعر عن مكانة الوالدة ومعزتها ومدى اشتياقه لها وكيف يتألم وتتحرك مواجعه عندما تذكر الوالدة أمامه ،فالشاعر كان مشتاقا لأمه وراجع من سفره يرجو رؤيتها ولقاءها وإذا به يفاجئ بخبر وفاتها فينزل عليه الخبر كالصاعقة ويصفه بالجرح العميق الذي يصعب شفاؤه ويبحث عن طبيب يفحصه ويعرف دواءه فقد صعب دوائه بسبب فقدان الوالدة الحنينة وهذا يدل على مكانة الأم العظيمة وهي التي حملت ووضعت وربت وتحملت المشاق والأتعاب من أجل أولادها ويعتبر فقدانها خسارة كبيرة لهم وجرح عميق لا يلتئم.

[1] العربي الجديدي: من التراث الشعبي السوفي،ص12.

يقول **علي عناد والساسي حمادي**[1]:

وَاحِدْ كَاسِبْ بِنِتْ رْجَالْ بِنْـــتْ عْرُوشْ خْيَارْ قْبِيلَه
وَاحِدْ كَاسِبْ بِنْتَ ارْذَالْ يَا وِيلَهْ مِنْهَـــا يَا وِيـــلَهْ
وَاحِد كَاسِب بِنْتَ حْلاَلْ بِنْتَ أُصُولْ و بِنْتَ رْجَالْ
همِّه وسْيَاسَه وافْعَـــــالْ بالدَّايِرْ تَلْقَاهَـــا جميلـــهْ
وَاحِدْ كَاسِبْ بِنْتَ ارْذَالْ عِشْرِتْهَا كُلّـــــهَا بِالحِيلَه
وَاحِد كَاسِبْ بِنْتَ فْحُولْ همِّه وسْيَاسَـــه واصُـــولْ
مَهْمَا كَانْ الحَالْ يِطُولْ عُمْرَهْ يِفُوتْ تْقُولِشْ لِيلَـــهْ
وَاشْ قَالْ كْلاَمَهْ مَقْبـــوُلْ لَوْ يَغْلِطْ هِيَ تِعْدِيلَـــــهْ
أُوَاحِدْ كَاسِبْ بِنْتْ اليَاشْ عِشْرِتْهَا دِيمَه مَهْـــــــنَاشْ
اتْحَوّسْ عَ الخَصْمَة كِيفَاشْ تِتْحَزّمْ تَبْـــــــدَا تِشْرِيلَهْ
تْلُوحْ كَلْمَة مَا تُوزِنْهَاشْ وْهِي فِي المِيزَانْ ثْقِيـــــلَهْ
وَاحِدْ مَالِكْ عِنْدَهْ بْنَيَّه جَابْهَالَهْ رَبِّي مْهْـــــــــدِيَّه
حَوَايِجْهَا دِيمَه مَقْضِيَّه ابْنِيِّتْهَـــــــــا مَاهِيشْ بْخِيلَهْ
أوَاحِدْ مِلْكَاتِهْ جِنِّيَّه طُولْ عُمْرَهْ مِكْـــــوِي بِفْتِيلَهْ.

أجرى الشاعران مقارنة بين المرأة الخيرة والمرأة الشريرة وكما يقول المثل الشعبي "الخير مرا والشر مرا" فمدام الخير ينسب للمرأة وكذلك الشر الشّر كونها هي تمثل بأكمله فهي تمثل النصف الأخر يتصرف تحت تربيتها وتدبيرها ،فالشاعر صنف المرأة حسب الأصل والفعل إلى صنفين صنف خير وصنف شرير ،ولقد انطلق الشاعر في هذا التصنيف من الواقع المعيش فالمجتمع صنفان خير وشر وكذلك المرأة نوعان فالشاعر وأطلق أحكامه من الواقع ،وموضوع النساء موضوع واسع لا يمكن الجزم فيه لكن

[1] بن علي محمد الصالح :علي عناد،ص150.

الأحكام فيه نسبية متغيرة تخضع للتجربة المعيشية من جهة وطبيعة النساء من جهة أخرى والحكم الشامل فيه شيء من التجني فلا يوجد ما هو خير كله ولا شر كله.فالشاعر يصف المرأة الخيرة بأوصاف جميلة فهي بنت الأصول وخيرة الناس وهي تتميز بالسياسة والأخلاق والهمة وهي كاملة جميلة واعتبرها من طبقة راقية (سلطانة) وهبها الله لزوجها كاملة مكملة على عكس بنت الأرذال التي تتشاءم منها واعتبرها مصيبة على زوجها وشبهها بالجنية التي تمس الإنسان فيتعذب لقربها ،ووصفها بالحيلة وببشاعة العشرة واعتمادها على الخصام وهكذا فقد وصفها الشاعر بأرذل الأوصاف إلى درجة قوله أن الزوج يكره أولاده من زوجته الغير أصيلة.

يقول **الساسي حمادي**[1]:

يا اللِّي جَايْ جْدِيدْ لِلدِّنْيَا تْعَالَى نِحْكِي لِيكْ وَاصْغَانِي نْوَصِّيكْ

رُدْ بَالِكْ مِن بْنَيَّةْ حَوَّى رَاهَا خْطَرْ عْلِيكْ

رُدْ بَالِكْ مِن بْنَيَّةْ حَوَّى رَاهِي كِاللَّفْعَه تِتْلَوَّى

جَرَّبْهَا وَقْتْ الْتِتْنَوِّى تَبْدَا اتْنَتِّفْ فِيكْ

بِلْسَانْهَا تَذِيكْ تِتْزَيِّرْ كِي مِثْلْ العْقْدَهْ ماَ تْحِلهَا سِنِّيكْ

رُدْ بَالِكْ مِنْ بُونِسْوَانْ لاَ تَعْطِي فِيهُمْ لَمَـانْ

رَاهُمْ وَحْلَة فِي الزِّمَانْ الله لاَ يبْلِيكْ

مِنْ شَرْهُمْ يِحْمِيكْ مِثْلْ ثِعْبَانْ فِي الكَتَّانْ بِسْمُومْهَا تِكْوِيكْ

رُدْ بَالكْ مِنْ هَا الْوِلِيَّه رَاهَا كِاللَّفْعِه المِلْوِيَّه

اسْمَعْ لِي وَاشْ نْقُولْ بَعْدْ الِي سِمِعْتَهْ مَجْمُولْ

إذَا تُخْطُبْ اخْطُبْ لُصُولْ حَتَّى العَاجِزْ فِيهُمْ طُولْ ،يَحْسُنْ لاَ يَذِيكْ

إذا تُخْطُبْ بِنْتْ رْجَالْ رَاهَا نُزْهَه فِي الحَلاَلْ

[1] بن علي محمد الصالح،حمادي محمد نافع: الساسي حمادي،ص91.

استهل الشاعر قصيدته بتوجيه نصائح لعديم التجربة ،الإنسان الذي لا يعرف شيئا عن الدنيا ونصحه بان يبتعد عن ابنة حوى أي المرأة فهي تشكل خطرا علي الرجل ،ثم أخذ يصف المرأة بأبشع الصفات وأرذلها وشبهها بالأفعى وبالعقدة التي يصعب حلها...لكنه في الأخير استثنى بنت الأصول ولم يترك رأيه في المرأة يعمم.

يقول **علي عناد**[1]:

كَايِنْ ثَلاَثَه الخِيرْ مِنْهِمْ غَادِي النَّفِسْ والشّيطَـانْ وأمْ اوْلاَدِي

النَّفْسْ يَا مُـــــــــوذِيَة يَا مْصَادْقَه الشّيطَانْ فِي الخَلْوِيَّه

لَثْنِينْ ضِدِّي خَارْجِينْ عَدْوِيَّه وِالثَّالِثَه هِيَ عَــشِير وْسَــادِي

نَفْسِي انْقِدْ نُجْبـــــــرْهَا نْبَعِّدْ عَلِيهَا ابْلِيسْهَــا يغَــادِرْهَا

وامَّا المرَا وِينْه غَرِيقْ بَحِــرْهَا يَصْعَبْ عَلَى العَوَّام والبُوجَـادِي

رَبِّي ذِكَرْهَا فِي الكِتَابْ شْهَرْهَا شِيطَانْهَا امْعَفْرِتْ عَنِيفْ افْرَادِي

وُهَفْ النِّسَا قِلِيلْ مِنْ إقِدَّهْ مُوحَالْ كَانْ فِيهُمْ عَشِيرْ اقَادِي

تِتْعَاشْرُوا طُولْ زْمَانْ وُمُدّه إجِي يُومْ فِي لَحْظَه اعُودُوا اعَادِي

الشِّيطَانْ هُو صَاحِبْهَـــــا جِي مَسْكْنَه بَيْن نِيفْهَا وْشَارِبْهَا

لقد جمع الشاعر بين المرأة والشيطان والنفس واعتبرهم أعداءه الثلاثة أما النفس والشيطان فيتفق حولها الجميع وأما الثالثة المرأة فيتحفظ في شأنها البعض لأنها نسبية وتخضع للتجربة الخاصة.وبالغ الشاعر في عدوانيته لزوجته حتى أنه اعتبر النفس والشيطان يستطيع أن يسطر عليهما ويتحكم فيهما على عكس المرأة كما قال فاعتبرها كالبحر الذي تصعب السباحة فيه واستشهد بالقران في قوله (ربي ذكرها في الكتاب شهرها)وربما يقصد امرأة العزيز ومكرها حين ذكرها سبحانه وتعالى في سورة يوسف. واعتبر الشاعر المرأة عديمة العشرة وأنه مستحيل أن يستطيع رجل أن يلاءم امرأة ويعاشرها فهي تخون العشرة في لحظة وتنقلب إلى عدو لدود.

[1] بن علي محمد الصالح :علي عناد،ص143.

فالشيطان صاحب للمرأة ومسكنه واقع بين انفها وشفتيها أي أنها عندما تغضب وتنكمش ملامح وجهها يخرج الشيطان مسكنه.

بعد تحليلنا لهذه الشواهد التي حولنا من خلالها معرفة مكانة المرأة في المجتمع السوفي وكيف حاول الشاعر أن يظهرها وجدنا أن هذه الأحكام التي أطلقت على المرأة مستمدة من مصادر مختلفة لعل أبرزها الدين والأعراف والتقاليد الموروثة والأشكال المطروح أن هذه الأعراف كثيرا ما تتعارض مع تعاليم الإسلام.فمثلا الحكم على المرأة بأنها أفعى ،وإنها تتصف بالدهاء والمكر وتسوية المرأة بالشيطان والنفس في الأمر بالسوء كل هذه الأحكام تتعارض مع القيم الدينية،ولعلها تستند إلى مرويات واهنة وأحاديث موضوعة يتكأ عليها البعض في تبرير بعض الأوضاع السائدة ،لكننا في حين نجد قيمة حب الأم وتقديسها مستمدة من تعاليم الإسلام حيث أعلى الدين من درجة الأم وقدسها ،وكذلك الحث على حسن اختيار الزوجة بالاعتماد على الأصل والدين وهذا يرجع لقوله صلى الله عليه وسلم:﴿تنكح المرأة لثلاث لمالها و... فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾.

ويمكننا القول أن مكانة المرأة في منطقة وادي سوف تأرجحت بين التقديس والتحقير وربما هذه الأحكام ترسبات وبقايا لحضارات قديمة زالت وبقيت بعض رواسب

## 2 – الشيخوخة (الكبر)

لقد تناول الشعر الشعبي عالم الإنسان بكل أبعاده الفيزيولوجية ومختلف أطواره الحياتية في ضوء ما تتيحه الثقافة الشعبية فالإنسان بأبعاده النفسية والدينية والأخلاقية والاجتماعية...كان احد مواضيع الشعر الشعبي واهتماماته فلا غرو في ذلك فالإنسان أبدعها للإنسان.ولقد اهتم الشعر الشعبي بالإنسان في شتى الظروف والمراحل :فصوره رجلا وامرأة وأما وأبا وشيخا مسنا. والشيخوخة بما تتميز بها من ضعف عام شدت انتباه الشاعر فأبدع في وصفها وتصويرها وهذا ما نحاول معرفته من خلال الشواهد الشعرية.

يقول **علي عناد**[1]:

[1] بن علي محمد الصالح :علي عناد،ص95.

تْولَّهِتْ نَلْقَى الكُبرُ قَدَّمْ جَانِي شَدْ رُكْبَتِي وْطَالِعْ قِدَا مِسْلَانِي
إرْقَي إلْظَهْـــــــــــرِي وَلَّتْ اكْتَافِي تْقُولْ ذِرْوِةْ مَهْرِي
وُنْنْفُخْ وْنِنْهِجْ نُوعْ دَاخِلْ شَهْرِي حَتَّى لحْذَايَا قَلَقْ مِنْ كَتَّـــانِي
البِدْعَة الكِبيرَة عُدتْ وَحْدِي نِهْرِي مِنْ بَعدْ نَنْسَى وَاشْ قَالْ لْسَانِي
بِدْتْنِي السَّهْـــــــــــــوَة عَلَى غِيرْ رَادَه قَابْضِتْنِي لهْـــوَه
وعَادِتْ لحِيتِي بِيضَاء نُوعْ الشَّهْوَه ومْوَاتِيتنِي قُـــولِةْ الشِّيبـــــانِي
وعَادْ لْخَطَى يَا خَاوْتِي كَايِـــــدْنِي انْشُوفْ حَاجْتِي وتْضِيعْ بِينْ عْيَانِي

لَقَدْ أبدع الشاعر في تصويره للشيخوخة وصورها لنا بصورة فنية رائعة ،فقد بدأ يصف لنا مفاجأته بتقدم السن وكيف هجم عليه فجأة وكأنه عدو لدود ثم انتقل الشاعر لتصوير ما يترتب عن الكبر وتقدم السن على كل عضو من أعضاء الجسم.فبدأ بظهره الذي انحنى و أكتافه التي أصبحت كأنها ذروة جمل من شدة الانحناء والتقوس.وشبه الشاعر نفسه بالمرأة الحامل التي تئن وتكت من التعب والألم.ثم انتقل الشاعر إلى المواصفات الحسية فهو يقول بأنه أصبح كثير النسيان والسهوة وأنه أصبح قلق لا يتحمل كثرة الكلام وحلقات الزهو.

**الهادي بن علي الذهبي**[1]:

يَـــا رُكْبَتِي جَاكْ الغُلْبْ وغْلُبْتْ خَطَانِي الحَرَمْ وهَرَبَتْ عَنِّي صَايِبْتِي
غْلُبْتْ قْبَـــــــــــــالَه مْنِ المَـــشِي عُدْتْ خَايْفَه ذَلَّالَه
ومْنِينْ كُنْتْ تُسُفْرِي كَيَّـــــالَه وُرِدِتْ عَلَى بْيَارْ لِقْرُونْ شْرُبْـــتِ
ومْنِينَه ظَلاَمْ اللِّيلْ يِضْوِي هْلاَلَهْ كِثِـــيرْ اللِّيَالِي سَارْيَه لَا بِـــــتِّ
رَانِي عَرَفَتْ يجْيِـــــــــــنِي وُغْلُبْتْ وْشْبَحِتْ الطِّحِينْ بْعِينِي
بَارْ سُوقِي وْمَا عَادْ مِنْ يشْرِينِي حَـــــتَّى الشَّرِي وَلَّى عَلَيَّ بُرْتِ

[1] أحمد زغب:أعلام الشعر الملحون، ج3،ص34.

يصف الشاعر الشيخوخة مبتدئا بركبته التي عجزت عن المشي حتى أنه لم يعد يعتمد على نفسه كما كان سابقا وأصبح مقصرا من الواجبات بسبب العجز فقد أصبحت ركبتيه ترتعش خائفة من المشي ويتحسر الشاعر حينما يتذكر أيام الشباب لما كان يسافر إلى الأماكن البعيدة ولا يحس بالتعب والعجز.

ويقول الشاعر بأنه نتيجة لعجز ركبتيه الناتج عن تقدم السن فقد أحس بالقهر وأصبح كالسلعة الكاسدة لم يعد يسأل عنه احد ولم تعد له أية قيمة .

يقول **بادي الطيب بن علي المصباحي**[1]:

فاتو ايام الصُّغُرْ ما نَنْسَاهُمْ والكبرْ هو والموتْ كي بَعْضَاهمْ

قداشْ بكْـــــري جريتْ وقداشْ رحتْ مع لملاخْ وجيـتْ

وقَدَّاشْ بِعتْ منْ الغَنَمْ وشْرِيتْ واللِّي يَفْزْعُوا فِي الشَّاوْ دِيمَه عْمَاهُمْ

واليومْ حتى ع الصلاة قْسيتْ الرجلينْ ولَّنْ قَاصْرَاتْ خْطَاهُـــمْ

قداشْ جبتْ جلايـــــبْ وقداشْ كنْتْ مْعَ القُوَافِلْ غَـــايِبْ

واليومْ عَادُو يعايروكْ الشَّايبْ يْعَكُّو عَلَي بذرهُمْ ونْسَـــاهُمْ

بعد الشبحة الكُبرْ قلْبه خايبْ عادو الذَّراري يحقْروا بَابَاهُـــمْ

ما عادْ عندي شيـــــــرةْ ولا عدتْ قادرْ على الخيرْ نْديرهْ

واللي تْغَلَبْ يَعْطي السِّلاَحْ لغيره وعَنِيِّ بِدَوْ قِدَّامْ مَا نَبْـــدَاهُمْ

وقَدْ مِنْ طَلَعْ لاَزِمْ مِنْ التِّحْدَيرَهْ وليامْ ما يْتِمُّوشْ كِيمَا رَاهُـــمْ

الصَّايْبَـــــــــــهْ فَاتَتْنِي وحَتىَّ الصِّلاَ بِالوَاقْفَه كَـــادَتْنِي

والكُبُرْ في وسْط السِّيلُونْ رْبَطْنِي بِيبَانْ سَبْعَه والعَسَسْ مْعَاهُمْ

لايمْ عليها الموتْ كي خَلَّتْـــنِي غِيرْ الكِتَبْ لَهْ ايَّامْهَا وفَّاهُمْ

ليَّامْ عّدْهُمْ عَـــــــدَّه لاَزِمْ عَلِيهُمْ يَكْـــــمِلْ لاَ بُدَّ

[1] أحمد زغب:أعلام الشعر الملحون ،ج4،ص81.

والكُبُرْ عنْدهْ الصبرْ كانْ تْقِدهْ لَوْجَاعْ دِيمَهْ قَلَّقُو مُولاَهُـــــمْ

كانشْ طبيبْ الصُّغْر بَاشْ يْرُدَّهْ اللِّي تْرُوحْ لَهْ يْقُلْ لِكْ صِعِيبْ دْوَاهُمْ

قـــــــــــداش ما دواني كان ليباري وجعو مســـــلاني

وعَيِيتْ حَتَّ مِنْ الحَرَابِشْ ثَانِي وقَدَّاشْ مِنْ عِنْدِي فْلُوسْ ادَّاهُمْ

وبي قلق الكبر ما هنـــــاني ولوجاع ما هون علي داهـــم

بدأ الشاعر القصيدة بتحسره على الصغر وأيامه التي لا تنسى ولا تمحى من الذاكرة وفي المقابل الكبر الذي جعله هو والموت سواء ففي صغره كم تعب وتاجر وقام بأعمال شاقة وحينما كبر أصبح عاجزا حتى على الصلاة ،ثم قال حكمة في هذه الحياة بأنها متغيرة ودوام الحال من المحال فلا بد من الضعف بعد القوة ولا بد من النزول بعد الصعود.وفي نهاية هذه القصيدة اعتبر الشاعر تقدم السن والشيخوخة مرضا عضالا لم يجد له دواء على الرغم من زيارته لعدة أطباء فهم لم يستطيعوا أن يعيدوا له شبابه.

يقول **علي عناد**[1]:

الصُّغُرْ رَاحْلِي وتْوَدَّرْ فَاتْ الرُّبِيعْ يَا حَسْرَاهْ

والكُبُرْ جَايْنِي مِتْقَدِّرْ عِنْدِي حْسَابْ نَا وايَّاهْ

الصُّغُرْ رَاحْ عَنِّي غَيِّبْ والكُبُرْ جَايْ عَادْ قْرِيبْ

بِينَاتْهُمْ عُدِتْ غريبْ وعْلاَشْ هاَكْذَا وَعْلاَهْ

الدَّهِرْ والزِّمَانْ اشَيِّبْ مَا ادُّومْ كَانْ وَجْهَ الله

الصغرْ راحْ فاتْ اتْعَدَّى والكُبُرْ جَايْنِي لاَ بُدَّ

أجرى الشاعر مقارنة بين الصغر والكبر فتحسر على ربيع العمر وفواته وتخوف من الكبر ومداهمته وما يرافق الكبر من تدهور صحي ونفسي فالشعر كأنه حكمة على هذه الحياة وتطوراتها وعدم ثبوت الأحوال فيها فتمنى الشاعر في نهاية هذه القصيدة الطويلة التي اخترنا مقطعا منها أن يزور النبي ويؤدي

[1] بن علي محمد الصالح :علي عناد،ص92.

فريضة الحج لأن الإنسان عندما يكبر تتوقف عن فكره كل الطموحات الدنيوية ولم يعد له إلا أن يفكر في الآخرة والقبر.

### 3 – علاقات الأسرة:

تعد الأسرة النواة الأولى لتكوين المجتمع كما تعرفها حنان عبد الحميد العناني:"أن الأسرة عبارة عن وحدة بنائية وظيفية تتكون من شخصين أو أكثر يكتسبون مكانة وأدوارا اجتماعية عن طريق الزواج والإنجاب"[1].

فالأسرة مكونة من أب وأم وأبناء وربما تكون موسعة فتشمل الجد والجدة والعم والعمة... وتربط بين هؤلاء علاقة حب وتقدير واحترام نابعة من إحساسهم بالانتماء إلى نفس الأسرة ولقد شغلت هذه العلاقات اهتمام أهل المنطقة وحاولوا المحافظة عليها والإعلاء من قدرها جعلت الشاعر الشعبي الذي لا تفوته ظاهرة اجتماعية أو غيرها إلا ويتغنى بها ويخصص جزء من شعره فقد تغنى بالعلاقة بالوالدين وعلاقة الأب والأبناء و... وهذا ما نحاول معرفته من خلال الشواهد الشعرية.

- **العلاقة بالوالدين:**

يقول **بلقاسم كعلة الحمدي**[2]:

الوالدينْ فَتْحِ البابْ للذِّرِّيَّهْ لِلْهُمْ سُوَاقِي سَاهْلَـــه ومِجْرِيَّهْ
الوالدينْ في شَهْوتْهُـــمْ من الصُّغُرْ بِني مَدُّوبْ فِي طَاعِتْهُمْ
شُفْت الكَرَمْ والخِيْر في جُرِّتْهُمْ كيفْ المطرْ والزرعْ في لَـــرْضِيِّهْ
فِي طَاعَة الرَّحْمَن وبَرَاكِتْهُمْ عَنِّي اتْفَتَحْ البَابْ بِينْ ايْـــدَيَّ
الولدينْ عِزْهُمْ دِيمـــــه سلاطين فِي مِثْل حْكُومَة رَسْمِيِّهْ
وربي رِفَعْهُمْ فِي مِنَازِلْ دِيمَهْ لبنايهم مثل السُّواقِي حَيَّـــهْ
يَا سَعِدْ مِنْ تَارِكْ عَلِيهُمْ حِيلَهْ يَا سَعِدْ مِنْ غلظ معاهم نيـــة

[1] حنان عبد الحميد العناني:الطفل والأسرة والمجتمع،دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان،الأردن،1420هـ،2000م،ص53.
[2] أحمد زغب،أعلام الشعر الملحون، ج3،ص79-80.

نِبّيتِكْ غَلِّظْهَـــــــــــــا واتْرُكْ الحِيلَه مِنْ قِدَايَا اخْفِظْهَــا

رَبِي عْمَايَا وكَلِمْتِي نُلْفِظْهَــا اللِّي نْقُولهْا تُقْعُدْ عَلِيكْ وْصَيــهْ

بخطْ العداله مسنيره نخرجْها شَهَّادْ بالدَّايِرْ عَلِيكْ وَعْلَيَّ

الولدينْ حُبْهُمْ صَافِي وهَزِّيتْهُمْ هَزَّانْ فُوقْ اكْتَافِي

هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة طويلة يحث فيها الشاعر الأبناء على الوفاء للوالدين ،وطاعتها وتوقيرها والحرص على مرضاتها ،فرضا الوالدين سبب سعادة الأبناء في الدنيا قبل الآخرة،وقد استهل برضاهما أبواب الرزق ،أما سخطهما فهو ضيق في العيش وهم في الدنيا وجحيم في الآخرة. فرضا الوالدين ودعاؤهما للأبناء يفتح أبواب الخير وينصح الشاعر الأبناء بأن لا يستعملوا الحيلة مع الوالدين ويبشر الذين يتعاملون مع والديهم بسلامة وسعة صدر وصفاء وسريرة،فقد استمد الشاعر هذه الأخلاق من الدين الإسلامي حيث قدس الدين مكانة الوالدين وجعل الإحسان لهما واجبا على كل مسلم و اعتبر العاق لوالديه يقوم بأكبر الذنوب ويقول سبحانه وتعالى:"وقضى ربك إلا تعبدوا لا إياه وبالوالدين إحسانا" الإسراء:23 .

يقول **شاعر**[1]:

الوَالْدِينْ فَتْحِ البَابْ لِلذِّرِّيَّهْ لِلْهُمْ سُوَاقِي سَاهْلَهْ ومِجْرِيَّـــهْ

الوَالْدِينْ بَابْ مْحَتِّـــــــمْ مِفْتَاحْ فِي يدِيكْ تْحِلْ ولاَ تْسَكِّرْ

انْ كُنتْ شَاهِي غَلِطْكْ تُذْكَرْ ضَلِّلْ عَلِيهُمْ بْشِجَرْ النِّيّـــهْ

يِرْوُوكْ مِنْ كاسْ باردْ حليبْ وسكرْ جبح العسلْ مهْدي لكْ هْدِيَّهْ

رَاهْ حُبْهُمْ صَـــــــــــــافِي وهَزِّيتْهُمْ هَزَّانْ فُوقْ اكْتـــافِي

تَّقُّوا عَلَي البَرِدْ مَا شُفْـــــــــتَاشْ وجَابُو غْطَايْ الفَرِشْ والزَّرْبِيَّهْ

يَا سَعِدْ مِنْ صَابِرْ عَلِيهُمْ ورَاسِي ايصِيبْ رَاحْتَهْ بَعْدْ الشِّقَا والعِدَّهْ

[1] العربي الجديدي،من التراث الشعبي السوفي،ص17.

الشاعر يوصي بالوالدين خيرا ويعتبرهم مفتاح خير للذرية ،وأنهما باب رزق تملك الذرية مفتاحه فمن أراد الخير فعليه فتح هذا الباب وذلك بالطاعة والتقدير اتجاه والديه فهما سبب الوجود في هذه الحياة،والعكس بالعكس فمن أراد غلق هذا الباب وذلك بمعصيتهما.

- **العلاقة بالأبناء:**

تقول **مريم لعبيدي**[1]:

عَقْلِي سَفـــرْ يَا نَاسْ مَا لِي خَشْ الجِبَلْ لاَحِقْ نِزَايَهْ بَـــالِي
سَفَرْ مَا جَاشِـــــــــــي وعَقْلِي تْقَسَمْ بِينْ ثْلاَثَ حَوَاشِي
فِي ادْهَمْ جِمَلْ دَهْدُوكْ مَا جَانَاشِي وجَاتْ خِدِمْتَهْ تِحْتْ الجِبَلْ العَالِي
سُفَـــــــــــــرْ مَا وَلَّى وقَلْبِي عَلِيهْ صَهَرْ الجَمِرْ يِتْمَلَّى
رَانِي عَلِيكْ مْرَايْفَه بِالعِلَّـــــه هَمْ الفَرَاقْ الصَّبِرْ مَا خّـــلاَّلِي
سفَرْ مَضْـــــــــــنُونِي والنُّومْ حْرُمْ مِنْ شُفَرْ عْيُـــونِي
والنَّارْشِعْلِتْ فِي لهَبْ مَكْنُونِي خَالْتِكْ عَلِيكْ مْرَايْفَه يَا غَالِي

تصف الشاعرة شوقها لأبنائها المسافرين وتعتبرهم(الأبناء) نزهة البال وفرحته ونجد هذا في قوله تعالى:﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾الكهف:46 فالشاعرة قلبها حزين ويحترق من شدة شوقها لأبنائها المسافرين بسبب العمل ،فقد ذهب عليها النوم ولم تعد تغمض عينيها بسبب الفراق.

فحب الأم لأبنائها شيء فطري فهي تشتعل لتضيء عليهم وتشقى ليرتاحوا وهي بذلك لا تريد جزاء ولا شكورا لكنها تود راحتهم واستقرارهم.

يقول **علي عجيبة**[2]:

نِي قَلِبْ عنْدي فِي الدَّرَكْ يْعَانِي ولْادي مِشَوْا مَا جُوشِي يَا وْخَيَّانِي
وِلْدِي غَيِّـــــــــــبْ مَـــذْكُورْ فِي لَبْعَادْ مُوشْ قْرَيِّبْ
رَاهِي الحقيقة خَايْبَهْ وتْشَيِّبْ وقِسِيتْ عَ الطَّـــلَّانْ يَا وْخَيَّانِي

[1] أحمد زغب:أعلام الشعر الملحون، ج4،ص26
[2] المرجع نفسه،ج3،ص110-111

وِلْدِي جَـــــــافِي مْحَدِّثْ قْرَابَه بِالحَدِيثْ الخَافِي

لاَ دَزْ قَالْ رَانِي لاَفِي قَصَّه كِبيرَه وَالْدَه جَافَــانِي

الشاعر يشتكي ويقول بأن قلبه يعاني الأم سفر أبنائه وطول غيابهم ويقول الشاعر بأن أبناءه ذهبوا وصدوا ولم يسألوا وهو سبب عجزه وفقره لم يستطع أن يزورهم ويتعجب الشاعر من مجافاة أبنائه له ففراق الأولاد ألم وحزن للوالدين لا يحس به الأبناء.

ويقول **بشير غريب في قصيدة بعنوان حنين أب**[1]:

اجِمْلُوا عِدِّتْكُمْ تْرَجِّحُوا مِنْ دُونَه يا اللِّي نُويتُو تَلَحْقُوا فِي لُونَهْ

هُو ميامي الشَّرَفْ فِي شَبْحَانِي ومَا تْجُوشِي شَعْرَه فِي شُفْرْ عْيُونَهْ

اجِمْلُوا وتْعَـــــــــــدُّوا واحْصُوا جْمَالْ الكُونْ كِيفْ تْعِدُّوا

دَاعْبُوا نْجُومْ اللِّيلْ كَانْ تْقِدُّوا يَبْقَى القُمَرْ صَاعِبْ عَلِيكُمْ لُونَهْ

وثِقْلِ العَقَلْ رِزَنْ طْبِيعْ خْلاَقَهْ وجَابِتْ وْعِقْرِتْ الوَالْدَه لحَنُونَهْ

حُبَّهْ تِرَعْـــــــــــرَعْ فِي نَبِتْ عُودَهْ فِي دَاخِلْ جُوَاجِيَ

اشتد حنين الشاعر لابنه واخذ يصفه بأحسن الأوصاف وأروعها ويعتبره فريدا من نوعه وجماله لا يصله الآخرون الذين يقول لهم الشاعر بأنهم لو يجتمعون جميعا فهم يرجحون من دونه أي يبقى هو أفضل منهم وأنهم لا يصلون شعرة من شفر عينه وأنه قمر يصعب الوصول إليه والتشبه به .ويعتبر الشاعر الأمهات قد أصيبت بالعقم بعده فالشاعر حب ابنه الذي ترعرع في قلبه وكبر بداخله يجعله يعتبر ابنه أحسن إنسان في الشكل والمضمون أي في الجمال والعقل وهذه عاطفة الأبوة فكل أب يرى ابنه مميز ويتمنى أن يكون أفضل شخص في الوجود.

[1] بشير غريب:لمسة جفاء(شعر شعبي)،مطبعة مزوار،الوادي،ط1،2012م، ص35.

**استنتاج:**

إذا نظرنا إلى هذا الشعر نجد أنه أعطى صورة عن النظم الاجتماعية الموجودة في مجتمع وادي سوف والتي تؤطرها المنظومة الدينية والاجتماعية، وهي بدورها تواطأ عليها المجتمع باعتبارها مرجعية مشتركة بيد أن هذه المرجعية تستمد شرعيتها وقوتها من مصادر مختلفة لعل من أبرزها الدين والأعراف والتقاليد الموروثة. لكنها في بعض الأحيان تتعارض (الأعراف والتقاليد) مع تعاليم الدين وهذا ما وجدناه في الحكم على المرأة ومكانتها لكننا في العلاقة بالوالدين وجدنا أن كل الأحكام والتعاليم تتطابق مع تعاليم الدين .ومن جانب آخر نجد أن صلات القرابة تلعب دورا هاما في وحدة الأفراد وهذا ما لا حظناه في علاقة الوالدين بالأبناء والعكس.كما لاحظنا تخوف الشعراء من مرحلة الشيخوخة واعتبارها مرحلة ضعف وعجز.

أخيرا فقد عالج الشاعر الشعبي جميع نواحي حياة الإنسان الاجتماعية باعتباره الكائن الأساسي في هذه الحياة.

**وخلاصة القول في هذا الفصل**

بعد دراستنا لهذا الفصل نستخلص أن الشعر أعطى صورة مفصلة على الحياة في المنطقة بجميع جوانبها فقد صور لنا بيئة المنطقة ثم عرفنا اقتصادهم وعلى ما يعتمد فوجدنا أن المنطقة عرفت مهنا وحرفا مختلفة كالفلاحة والرعي والاحتطاب وهي مهن بسيطة يعمل بها البدو البسطاء وعرفنا أن سكان المنطقة متمسكين بالدين وأنهم مجتمع متماسك يعلى من قيمة الإنسان والإنسانية.

## الفصل الثاني: وظائف الشعر الشعبي

### مدخل

### أولا : الوظيفة التربوية التعليمية

1 – القيم الأخلاقية

2 – القيم الدينية

### ثانيا: شعر المناسبات

I. الشعر الخاص بالمناسبات الدينية

الشعر الخاص بمناسبات دورة الحياة

**مدخـــــــــل:**

تجدر الإشارة –في بداية هذا الفصل –إلى أن مسألة الوظيفة في العمل الأدبي تعد من أبرز القضايا والمباحث التي تدرس في العمل الأدبي."ويبدو أن مفهوم وظيفة العمل الأدبي قد اتسع مجاله،فلم يعد يقتصر على مسألة أخلاقية ،إنما جمع إلى جانب الفائدة التعليمية ،المتعة الجمالية"[1]. ولعل الحقيقة التي يمكن تقريرها هي أن الشعر الشعبي يحقق عدة وظائف أهمها:الوظيفة التربوية والتعليمة والوظيفة الترفيهية.وكما عبر عبد الفتاح ملحس في كتابه:"القيم الروحية في الشعر العربي" عن أهمية القيم الدينية والأخلاقية في التجربة الشعرية فقال:"كنت ولا أزال اعتبر الشعر الذي لا يحرك الشعور ألا وهي في الإنسان ولا يدفع بالفكر إلى أعماق الخبايا النفسية شعرا مهيض إلا لجناحين وكنت ولا أزال اعتبر الشعر فكرا وتجربة إنسانية حميمة" [2].من خلال هذه المقولة نجد أن للشعر وظائف عدة سنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على الوظيفة التربوية التعليمة التي تحمل القيم الدينية والأخلاقية والوظيفة الترفيهية التي يؤديها الشعر الشعبي بحيث هو اللغة التي تستعمل في المناسبات المفرحة والمحزنة.

[1] الشايف عكاشة:اتجاهات النقد المعاصر في مصر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(دط)،1985م،ص11-12.

[2] ثريا عبد الفتاح ملحس:القيم الروحية في الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني،(دط)،(دط)،ص07.

**أولا :الوظيفة التربوية التعليمية:**

## I. مفهوم القيم الدينية والأخلاقية:

### 1) مفهوم القيم:

**تمهيد:** إن المجتمع مسرح حافل بشتى ألوان القيم والأنماط المتباينة من السلوكات الاجتماعية والإنسانية .وعندما نراقب هذه السلوكات نجد أنها تتخذ قرارات بدافع المصلحة أو المبادئ ،ولذلك فإن "سلوك الناس وأخلاقهم والقيم التي تحدد علاقاتهم بأنفسهم وبالآخرين ليست أبنية خالصة يصنعها الفرد بحرية كاملة ،بعيدا عن المجتمع وأوضاعه السائدة ،وإنما شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان ،فهي نتاج تصنعه أوضاع المجتمع ،وأداة تؤثر في المجتمع وتسهم في تغييره من ناحية أخرى"[1]. وتعتبر القيم مجموعة من المعايير التي يحدد بها الإنسان سلوكاته ويحقق بها مصالحه، حيث تعبر عن المنفعة العامة للمجتمع أو ما يعرف بالمصلحة الجماعية ،و لما لها من أهمية في استقامة المجتمع وتنظيمه،لقيت اهتماما بالغا من الكثير من رواد الدراسات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية[2].ولهذا يأخذ مفهوم القيمة معاني عدة ولهذا سنحاول ضبطه على المستوى اللغوي والاصطلاحي.

أ – القيم لغة: القيمة واحدة القيم أصله الواو لأنه يقوِّم الشيء ،والقيمة:ثمن الشيء بالتقويم [3].وقام واستقام واستوى ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...﴾[4] أي عملوا بطاعته والتزموا بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[5].

---

[1] رشيد جرموني:قراءة في التحولات القيمية ،دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم،مجلة المستقبل العربي،عدد366،مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان،أوت،2009م،ص33.

[2] سنوسي صليحة:السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري،ص146.

[3] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري،لسان العرب،دار الجيل ،بيروت،1985مج5 ، ص193.

[4] سورة فصلت،الآية:30.

[5] المصدر نفسه،مج5،ص192.

والقيم كل ذي قيمة يقال :كتاب قيم أي ذو قيمة[1]

ب – القيمة اصطلاحا: يطلق مصطلح القيمة على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا وقليلا ،فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال كانت القيمة مطلق(كاملة)،و إن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين،كالوسائل التعليمية والوثائق التاريخية كانت قيمته إضافية(عرضية زائلة)[2].

وبعد هذا التعريف نجد أن القيم تختلف تصنيفاتها حسب اختلاف العلماء والدارسين لها ،وأغلبهم يصنفونها إلى ثلاثة أنواع:القيم الدينية،والقيم الاجتماعية،والقيم الأخلاقية،إلا أن هذه الأخيرة – الأخلاقية– توجد في كل المجتمعات البشرية فهي تشكل سلوكهم وتوجه أعمالهم ،كما أنها تساعد على تلاحم الأفراد وتماسك المجتمعات حيث (تشكل القيم الأخلاقية ضبطا اجتماعيا يرسم الملامح الكبرى والقواعد الأساسية لمنطلقات الأفراد والجماعات في التبادل المادي والرمزي من أجل تحقيق منافع عامة تقوم أسسها على خلفيات قيمية)[3].وبعد معرفة معنى القيم الذي ارتبط بقيمة الشيء وما يميزه من صفات... وسنحاول معرفة معنى القيم الدينية والأخلاقية.

1. القيم الدينية: هي المثل العليا السامية المستقيمة العادلة الواجب أن تسود بين الناس لتحقيق الأمن والخير بيننا والمنبثقة من مصادر الشريعة الإسلامية وتشمل القيم الإسلامية:العقيدة الإيمانية والأخلاق الحسنة والسلوك السوي وما ينبثق عن ذلك من دوافع وبواعث تؤثر في معاملات الإنسان [4]؛وذلك مثل قضايا التوحيد والجنة ،النار، الملائكة، القضاء والقدر،التقوى،والعبادات،وغيرها.ولهذه القيم الدينية ثلاثة مصادر أساسية وهي:
1* القران الكريم، 2* السنة النبوية، 3* العرف والعادات والتقاليد.

[1] المنجد في اللغة والإعلام:دار المشرق،بيروت،1999م،ط 35،ص664.

[2] كميل الحاج:الموسوعة الميسرة في الفكر الاجتماعي والفلسفي،مكتبة لبنان، 2002، ص06.

[3] سنوسي صليحة:السلوك الاجتماعي،ص151.

[4] حسين حسين شحاته:القيم التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي الإنساني،كلية التجارة،جامعة الأزهر،.www،daremachoura.com/documents262002.

2. القيم الأخلاقية: ويقصد بها بأنها السجايا أو العادات الفطرية السوية الحسنة التي ترافق الإنسان في أعماله وتصرفاته وعلاقاته مع الإنسان،وتعتبر الأخلاق من الثوابت وتنمى في ضوء القيم الإيمانية[1].والقيم الأخلاقية ثلاثة أنواع: قيم أخلاقية فطرية وهي النابعة من الفطرة والجبلة مثل الرحمة،والتعاون والعدل والمحبة،...

قيم أخلاقية إنسانية: وهي ذات بعد عالمي إنساني مثل الحرية والمساواة والحق والصدق والجمال والصبر...

قيم أخلاقية إسلامية: وهي خاصة بتوجيه سلوك المسلم وأعماله مثل الاستقامة ،وحب الله وحب الرسول والعفة والوفاء بالعهد وبر الوالدين والإحسان إلى الجار والأمانة...

وبعد دراستنا لمعنى كلمة القيم وأنواعها ومصادرها نجد أن تراثنا الشعبي خاصة منه اللامادي وبالأخص الشعر الشعبي طافح بهذه الأنواع من القيم التي حاول الشاعر الشعبي من خلالها توعية الشعب وتعميم الفضيلة، فالشاعر يقوم بتأصيل القيم الإنسانية وتأكيد المثل الاجتماعية والأخلاقية وهذا ما سنحاول معرفته لاحقا من خلال دراستنا للشواهد الشعرية وما مدى نشرها القيم الأخلاقية والدينية، وهل لعب الشعر الشعبي دورا في تربية الشعوب ونشر القيم والمبادئ الأخلاقية؟

[1] حسين حسين شحاته،القيم التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي الإنساني،ص09.

## II. دور الشعر الشعبي السوفي في تكريس القيم الدينية والأخلاقية:

أدى الشعر الشعبي دورا هاما في تكريس القيم الدينية والأخلاقية حيث أنه لا يهدف إلى التسلية والترفيه، وإنما وظيفته الأساسية ضمان استمرار العلاقات الاجتماعية وتمتين الروابط الأسرية وتحقيق مجتمع مفعم بقيم التعاون والاستقرار ولن يتحقق ذلك إلا بتمرير القيم الأخلاقية وتمتين ركائز المثل الاجتماعية إلى الناشئة وترسيخها في الذاكرة الشعبية وإذا حاولنا رصد القيم في الشعر الشعبي فإننا سوف نجد مجموعة من القيم المتنوعة والمتعددة ،ومنها ما يتغير ويتحول أو حتى يزول وما بقي قائما إلى وقت الحاضر فعادة ما تتغير القيم من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر وليس هناك ما يثبت ويدوم.

### 1 – القيم الأخلاقية:

هناك العديد من القيم الأخلاقية التي تعرض لمعالجتها الشاعر الشعبي سنحاول التعرف على بعضها من خلال الشواهد .

**أولا : قيمة الحب**

وقبل التطرق لهذه القيمة من خلال الشواهد لا بد أن نعرف مفهومها

#### 1. مفهوم الحب:

- لغة : الوداد كالحباب والحب بالكسر هو المحبوب ،وأحببته إذا صرت له حبيبا[1].
- اصطلاحا: قال ابن عاشور:"المحبة انفعال نفساني ،ينشأ عن الشعور بحسن الشيء من صفات ذاتية ،أو إحسان ،واعتقاد أنه يجب أن يستحسن ويجر إليه الخير"[2].

إذن الحب تحقق التقارب والتجاذب والارتياح بين البشر.

[1] الفيروز أبادي:القاموس المحيط،دار الفكر بيروت،لبنان،طبعة جديدة،موثقة توثيق يوسف الشيخ البقاعي،2005، ص35.
[2] محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير،ج3،الدار التونسية،تونس،1984، ص225.

## 2. الشواهد:

قال **الساسي حمادي في حب الوطن**[1]:

حُبْ الوَطَنْ فِي دَمْنَا يِتْغَالَهْ[2] البنزين والموتُورْ في أقْصَى دُورَهْ

الوَطَنْ عِدْنَا غَالْيَاتْ أَسْوَامهْ فِي قْلُوبْنَا مَنْقُوشْ فَجْمَلْ صُورَهْ

حُبْ الوَطَنْ فِي القَلِبْ لاَمَازيَّهْ عَبِيرْ مِسِكْ بِيهْ أَرْواحْنَا مَغْمُورهْ

لأجْلِ الوَطَنْ نَعْطِي الرُّوحْ هْدِيَّة ونِتْحَزْمُوا بالسَّلاَحْ وِالشَرْشُورَهْ[3]

وَادْ سُوفْ عِنْدَهْ غِـــــــيره حُبْ الوَطنْ فِي القَلِبْ فَاحْ عْبِيرَهْ

ويقول في قصيدة أخرى[4]:

أعَزْ شَيْء هو وطنَّا وعِزّتْنَا ومستقبل لجْيَـــــــــالْ

أمالنا تَجْمَعْناَ نْسَا وِرْجَالْ يا جَانْفي عنْدي مْعَاك سُوَالْ

ويقول في الحب عامة[5]:

والحُبْ عِنْدَهْ سِرْ شِي عَجَبْ وعِنْدَهْ عَلَامَةْ فِي النَظَرْ مَا تْغِيبْ

رِيْحْ حبنا ديمَا عَلِينَا إِهِبْ إِحْنَا حُبْنَا لَا فِيشِي تِكْذيبْ

الحُبْ لا يسَاوي فلُوسْ وذَهَبْ ما كان في أيْ مْكَانْ شِيْ رْدِيعَهْ

---

[1] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي،ص35.

[2] يتغاله،يغلي كغليان الماء في القدر.

[3] الشرشورة:الرصاص.

[4] المرجع نفسه:ص49.

[5] المرجع نفسه:ص71.

هو الحيَاة هُو زَهُو كلْ طْرَبْ نزْهة حبيبي وراحْته وتَخْلِيعَهْ

وقال أيضا في قصيدة أخرى في الأثر الايجابي للحب[1]:

بالحبْ نْعِيشُو حَيَاةْ هْنِيَّة بالحبْ نِتْحَدَّى اللِّيَالِي السُودْ

بالحب ديمه حَاجْتي مِقْضِيَّة نْجِدُّوا ونْكِدُّوا وانْقَدْمُوا المجهودْ

ويقول **علي عناد** في قصيدة الغزل[2]:

حبُّكْ دَخَلْ عَاشِرْ سِكَنْ فِي الدَّفَةْ وما صُبْتَشْ مَرْسُولْ اللِّي وِصَلْهَا

حَكِيلْهَا عن حَـــــــــالِي واحْكِيلْهَا فِي الخَافِيَة اقُولْلَهَـــا

وحكيلها وقْتَاشْ بَاشْ تْـــــــوَالِي حُبْـــكْ كِـوَانِي كَبدتي شَعَلْهَا

وقال **إبراهيم بن سمينة** في حب النساء[3]:

حبكْ في المكنون عَاشِرْ يَا طُفْلَة جِيتْيني فِي حُوشْ مْسَّكِر قُفْلَـهْ

حبك كواني يا ظِريفْ خَـلاَلَهْ كُـــوَانِي بِكْـــــوِي بِلاَ بَارُودْ

حَبِيبْ العَطاَ نَاحَجْتَهْ وِكْمَـالَهْ نِخْفِيهْ عَنْ طُـــولْ المدَى مَجْحُودْ

ويقول **شاعر** في حب الوالدة[4]:

وأنتِ يَا الحْنَينَة اتْعِبْتِي عَنِّي كِثِيـــرْ واقْبِلْتِيهَا الهِينَه واتْحَمَّلْتِي عَنْ جَالِي

وَاشْ مِنِّكْ ايْسَلّكْنِي وقَدْ مَا نْدِيرْ الخِيرْ وحُبْ رَاهْ مْلَكْنِي وبِه يَرْتَاحْ الحَالْ

[1] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي،ص121.

[2] بن علي محمد الصالح:ديوان علي عناد،ص187.

[3] أحمد زغب :ديوان إبراهيم بن سمينة،ص35.

[4] عبد الناصر باهي:أغاني الألم والفرح،ص 22.

**قراءة في الشواهد:**

لقد اعتنى الشعراء الشعبيون كثيرا بقيمة الحب لما لها من أهمية في العلاقات بين الأفراد وبينهم وبين الأشياء والاعتقادات مثل حب الله ورسوله وهذا ما وجدناه في الفصل الماضي حين درسنا حب أهل المنطقة لله ورسوله وللأولياء الصالحين من خلال الشواهد الشعرية وكذلك حب الوالدين والأولاد والزوجة والأوطان...الخ، وحب الخير وحب الأموال والأرزاق كحب النخلة وحب الجمل...ونجدهم في المقابل حذروا من البغض والكراهية كقيمة سلبية تدمر الصلة وتورث الشرور والآفات.

فالشاعر الشعبي حاول من خلال شعره أعلاء قيمة الحب وتقديسها والحط من البغض كل ذلك حفاظا على العلاقات الطيبة بين الأفراد.

**ثانيا: قيمة المروءة:**

1 - مفهوم المروءة: لغة: النخوة وكمال الرجولة [1] .وهي صيانة النفس عن كل خلق رديء،وهي العفة...[2].

**2 - الشواهد:**

قال **الساسي حمادي** يصف مروءة البدو[3]:

عُرْبَانْ اهْلْ الهِمَّـــــــــة رْجَالْ عُدْنَا اللَّفِظْ كَلْمَه كَلْمَهْ

أصْلِ الكَرَمْ مِنْ قَبِلْ لِينَا اتْسَمَّى والضِّيفْ إِحْنَا نحسنُوا اسْتِقْبَالَهْ

العُرْبَانْ إذا اجتمعوا دَارُوا لَمَّةْ المِظَامْ يتسرق غزيل خْبَـــالَهْ[4]

المِضْامْ كِيفْ اجِيهُـــــــمْ لِيهْ يَحِضْرُوا رْجَالْ وذْرَارِيهُـــمْ

وقال أيضا في أصالة ومروءة أهل الوادي[5]:

وَادْ سُوفْ فِي التَّارِيخْ عِنْدَهْ مْكَانَهْ ومَعْرُوفْ شَايِدْ مِنْ زِمَانْ طْوِيلْ

مِنْ عَهِدْ جَدْ جْدَادْنَا واخْوَانَـــهْ مِتْوَاصْلَه مِنْ كُلْ جِيلْ الجِيـــلْ

احْرَارْ لاَ نَرْضَـــاشْ بالخِيَـــانَه ولاَ نَرْكَعُوا لِلِّي مِنْ عَدُو دِخِيلْ

[1] قاموس عربي –عربي:ص347.

[2] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي ص153.

[3] المرجع نفسه،ص57.

[4] لمة: كتلة واحدة، مظام: محتاج للنصر، غزيل خباله: تحل عقدة وتشابكات خيوط غزله.

[5] المرجع نفسه:ص58.

وقال أيضا يصف مروءة أهل الوادي[1]:

عُرْبَانْ عِدْنَا كَرَامَه أهِلْ الكَرَمْ والمِقْدَرَه وِشْهَامَهْ

قال **الساسي حمادي** يصف الأصالة والندالة في قصيدة (ممنوع)[2]:

والحُبْ لاَ تَقْدِرْ عَلِيـــه الطُّبَّهْ ولا اعَاجْوُوهء ولَا يعرفولـــه دْرُوبْ

وِلِدْ الأصِلْ مِنْ صُغْرَهْ عَلِيهْ تْرَبَّي فِي القَلِبْ عِنْدَهْ خَازْنَهْ مَحجُـوبْ

والنّذِلْ أصْلَهْ كَلِبْ وأُمَّهْ هَبَّـــهْ مِرِيضْ دَاهْ جَرْثُومَة كِلَبْ مَكْلُوبْ

اذا وُقَفْ عَرَضْ طِرِيقِكْ طُبَّـهْ اعْطِيهْ غَشْمَة طَيْحَهْ مَكْبُـوبْ

تَوَرِّيهْ وتْقَـــرِّيهْ ولا يتَربَّي ولا تخالطه في مال لا مكســوبْ

وِلَدْ الاصِلْ دِيمه مَطِلْبَهْ يِتْلَبَّى والنَّاسْ جِمْلَهْ عِنِدْهُمْ مَرْغُـــوبْ

تَلْقَاهْ مِنْ صُغَرَهْ مْطَاوِعْ رَبَّـــه صَافِي مْصَفِى لاَ عَلِيهْ ذْنُـــوبْ

ولاَخضرْ مْزَرْقِطْ لُونْ ضَبَهْ ضَبَّهْ ثِعْبَانْ سمِّهْ فِي العَضَا مَصْبـــــُوبْ

اتْبَعْ كِلاَمِي وسِـــــيرْ دَبَّه دَّبه الانْدَالْ رَاهُمْ الكُلْ خَـــــــدَّاعِين

[1] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي ،ص61.

[2] المرجع نفسه:،ص123.

وقال **خليفة بن قانة المصباحي**: يعدد صفات الجواد والأنذال[1]:

لجواد في كـل مَـــطْرَحْ نِسْوَانْ ولا رجـــــالهْ

والصَيابَة في الناس لِمْلَاحْ ليَا كان جِيتْ مع سَالَهْ

والزِّفْرْ لا يعرف حَـــد ولا نَاسْ تُشْكُرْ أفْعَالَهْ

والجودْ نَاسَهْ كُوَاوِيــدْ بِعْبَارْوافِي كِمَـــــــالَهْ

لْجَوَادِ ذَهَبْ امْصَرفْ فِي السُّومْ غَالِي حْسَابَهْ

ولَا يَرضُو بِالـــــدُّونِي ولا يَرْضُو بالخِيـــــَانَهْ

وقال **العربي بن عيشوش** بن بكار العربي يشيد بالأجواد ويحذر من الأنذال[2]:

نْوَصِّيكْ كَانْ قْبِلْتْ وُصِيَّـه اتْرُكْ النَّاسْ اللِّي عِمْـــلُوا الدُّونِيَّا

لليَاش لا تقـــــــــربه ولا يحُكُّوا علي بَدْنِكْ وَسِخْ جَرَبْهُمْ

وفَاخِرِء اللعبة يعدمو مَضْرْبُهُمْ وَيْعَارِكُوكْ وغيرلك بِالسَّـــــــدَهْ

ويَنْسُوا الفَضِلْ الدّايْرَهْ صَاحِبْهُمْ وجُوهْمْ مْنِ المِسِـــــــخْ لاَ تِتْنَدّى

لاَ تدِيرْ لَهْ قِيمَـــــــــــــهْ وخَلِّيـــــهْ تِحْتْ التِّحْتْ دِيمَه دِيمَهْ

لجَوَادْ غيرْ اعْطيهُمْ رَاهُـــــــمْ ايرُدُّوا يَلِحْقُوا تَالِيهُـــــــــــمْ

يْعِدُّوا فَضْلْ الدَّارْ مْزِيّهْ فيهـــم مَا يْحُطُّوشْ فِي المِنْزِلَه الدُّونِيَّـــــه

[1] أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون، ج2،ص30.

[2] المرجع نفسه،ص88-89.

لِلْيَاشْ عَادُوكْ قَبَلْ مَا تْعَادِيهُمْ ويِرْمُوا عَلِيكْ عِنْدْ القُعُودْ دْهِيَّه

**–قراءة في الشواهد:**

اهتم الشعراء الشعبيون كثيرا بخلق المروءة والجود وعظموا هذه الصفات وجعلوا الأجواد الأصلاء أفاضل ،وعلقوا المجد والرجولة بهم فهم أهل همة وكرم ونجدة وشجاعة وشهامة ولهذا فالشاعر تغنى بهذه الصفات وأعلى من قيمتها وفي المقابل حمل الشعراء الشعبيون على النذالة وجعلوا الأنذال (للياش) ذوي الأصول الدنية وتمادوا في التحذير منهم والتغيير من سلوكاتهم السلبية فحذروا من مصاحبتهم وبينوا من أنهم لؤماء ،ولا يستحقون الاحترام،وأنهم مصدر ضرر وشر وأنهم أصحاب خديعة وغدر...الخ، ونظرا لخطورة القضية وتعلقها بسائر أخلاق المجتمع فقد بالغ الشعراء الشعبيون في التحذير من النذالة وأصحابها قدر ما بالغوا في الإشادة بالجود والأصالة وأهلها.

**ثالثا: قيمة الصبر:**

1 - مفهوم الصبر :الصبر في اللغة:"الإمساك في ضيق،يقال صبرت الدابة أي حبستها بلا علف" [1].واصطلاحا: هو حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع ،أو عما يقتضيانه حبسها عنه[2].

تقول **الشاعرة توصي** ابنتها[3]:

يَا بِنْتِ كُونِي فِي دَارِكْ صَبَّارَةْ لَا لِكْ حَبِيبْ وأُمُكْ حْذَاكْ جَارهْ

الصَبْرْ عُولَه... ولاَ مِنْ سِفرْ لِلْعِيبْ جَـــــــــابْ حْمُولَهْ

ويقول شاعر[4]:

الايِّامْ تَمْرِضْ وتَبْرَى والصَّبِرْ هُو دْوَاهُمْ

ويقول شاعر آخر في الصبر[5]:

جَانِي صِعِيبْ الصّــبرْ لاَقِيتَه الذِّهِنْ غَيِّبْ والعَقَلْ غَدِّيتَـــــهْ

الصَّبِرْ مثرْ مْصَفَّـــــــى حَنْضِلْ عَضِيدْ الرَّمِلْ وِيــن اتْعَفَّى

وْقُلْتْ نَاكِلْهَا وِانْ شَاء الله نِتْوَفَّ وكَانْ مُتُتْ مَا شَغَبْنِيشْ مِنْ خَلِيتَهْ

الصَّبِرْ يَا بضــــــــــابَا يَا تَرْكْ الشَّهَاوِي وْتَرِكْ كُلْ مْنـــايَا

[1] الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن،ص474.
[2] المصدر نفسه:ص474.
[3] العربي الجديدي:من التراث السوفي،ص13.
[4] المرجع نفسه:ص39.
[5] المرجع نفسه:ص89-90.

النَّفِسْ والشِّيطَانْ مِنْهُمْ دَايَه هُمْ لَزُّونِي لِلْعِيبْ وْنِي بِدِيتَهْ

الصَّبِرْ لِلْمِتْقَلّـــــــــــــقْ مِفْتَاحْ فِي وَسْطِ خْلُوقْ مْخَلِّقْ

يْقِدَّهْ وِلَدْ فِي دِينَهْ يُطلقْ بَاعْ سُوْقهَا وجَاء مْرَوَّحْ البِيتَهْ

الصَّبِرْ لهْ امَـــــــــاني لِهْ نَاسْ سِلنو فِي البَرْ الخَالِي

لاَ يْهِزْهَا هِيتْ لاَ قَلْقَالِي الشِّيطَانْ يَخْطُو حِلِقْتَهْ وِثْنِيتَهْ

جَانِي صِعِيبْ الصَّبِرْ لاَ قَدِّيتَهْ الذِّهِنْ غَيَّبْ والعَقِلْ غَدِّيتَهْ

ويقول **شاعر أخر** في الصبر[1]:

لو كَانْ مِشْ الصَّبِرْ يْطَفِّي نَارِي

هَذِه الدُّنْيَا لاَهْبَه فِي اشْرَارِي

بَاغِـــــــــــــي نُصْبُرْ

والقَلِبْ والانْسَانْ كِي يتْكَدَّرْ

نْقُولْ يَا قَلْبِي تِحَمَّلْ واصْبُرْ

قَرْقِبْ الزَّهَرْ مَا عَادْ زِمَانْ ايْوَالِي

واللِّي مْقَدِّرْ عَلَى الجِبِينْ مْصَطَّرْ

ايِدُورْ الفِلَكْ ويْتِمْ وَعْدْ البَارِي

[1] العربي الجديدي: من التراث السوفي،ص91.

وقال **أحمد بن تيشه(اللبيدة)**في قيمة الصبر[1]:

الصَّبرْ فَجَايْ لَوْجَاعْ هُوَ دُوَاء لْكُلْ لِيمَه

يْهِزْ الدَّارْ طُبْ نَفَّاعْ وْلاَ وِينْ تُوجِدْ رِدِيعَه

وقال **حمة بن رابح كزوز الجامعي** حاثا على الصبر على أقدار الله[2]:

كَبِّرْ قَلْبِـــــــــــكْ واصْبُرْ عَلَى مَا رَاد عنَّكْ رَبّكْ

بَالِكْ تْقُولْ وَاحِد يْقِدْ يْطُبِّكْ هَاذِي حَوَايِجْ وَاعْرَه وصْعِيبَه

ويَا عَبِدْ اعْرِفْ وَاشْ كُونْ الضُّرْبِكْ حَاكِمْ حَكَمْ حُكْمَهْ طِلَبْ تِنْفِيذَهْ

وقال **الصليعي** في عاقبة الصبر[3]:

والصَّبِرْ لله الكَرِيمْ المولَى واللِّي صُبَرْ لاَزِمْ الخِيرْ يْنَالَهْ

**–قراءة في الشواهد:**

اهتم الشعراء الشعبيون من أهل سوف بالصبر كقيمة أخلاقية رائدة وإذ هو الوصية الثمينة المفيدة وهو "عولة العمر" وهو "فجاي لوجاع" و "الدواء الشافي"و"الدواء النافع" الذي لا مثيل له وأعلاه الصبر على أقدار الله المؤلمة وأهله وأهل الجود والقيمة والسيادة وأفضل الصبر ما كان خالصا لوجه الله وقد تكلم عن عاقبة الصبر التي هي الفلاح في الدنيا والآخرة .والشاعر الشعبي السوفي منطلقا من

[1] أحمد زغب:أعلام الشعر الملحون، ج2،ص109.

[2] المرجع نفسه:ص37.

[3] المرجع نفسه:ص123.

ثقافته الدينية في عنايته الفائقة بهذه القيمة من مثل قول الله تعالى:" ﴿إن الله مع الصابرين،واستعينوا بالصبر والصلاة﴾[1].

وقوله أيضا: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾[2].وقوله صلى الله عليه وسلم:"إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[3]. وفي التراث زخم واسع من القصص والحكايات التي تبين فضل الصبر قيمته وجزاء الصابرين من رجال السلف ونسائهم .

كما نستنتج من خلال الشواهد أن قيمة الصبر المجتمع السوفي تحظى بقدر عال فلا زال أفراد المجتمع في كل المناسبات يحثون بعضهم بتفان على الصبر و خاصة في الملمات في الرزق والأنفس. ومازالت الكتابات الفكرية والأدبية بالمنطقة تخصص جانبا مهما من اهتماماتها بتربية هذا الخلق في نفوس الناشئة وذلك لما له من نتائج وأثار في حصانة المجتمع وحفظ كرامة أفراده والدفاع عن مكتسباته.

[1] سورة البقرة،بعض الآية153.

[2] سورة النحل،بعض الآية،127.

[3] رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز،باب في الصبر على المصيبة أو الصدمة ،رقم الحديث23.

**رابعا: العفة والانحلال:**

1 - المفهوم: العفة لغة: من عف وهو ترك الشهوات الدنيئة، وطهارة الجسد[1].

تعريف الانحلال: حل العقدة ونقضها وكل جانب أُذيب فقد حل[2] ،وهو التسيب والتميع والإفراط في التساهل بالتزام الأخلاق والمجاهرة بالمعصية.

**2 - الشواهد:**

قال **علي عناد** يصف عفة المرآة البدوية (في جدال بين البدوية والريفية)[3]:

البدوية قالـــت عيب وما نخدع جار ولا حبيب

وحَتَّى الرَّاجْل كِيفْ يغِيبْ بَرَّى رَاهُو فَاتْ الشَّهْرِينْ

صَافِي قَلْبَهْ مِثْلْ حْلِيبْ ورَاقِدْ عَنْ جَنْبِهْ لمِـــينْ

دِيرْ الرَّاجِلْ رَاهُو غَـابْ وافْرُضْ رَاهْ عَمَلْ اصْحَابْ

نِحْلِفْ بالْنَزِّلْ لِكْتـَابْ والبَقَرَة وسُورَةْ يَاسِـــينْ

عُمْرِي لاَ نْكَلَّمْ شَبَابْ وْلاَ هَزْ فِيَ وَاحِـــدْ عين

الدُّنْيَا مَا دُومِشْ لِلنَّاسْ وسَعْدِكْ يَاللَّي فِعْلِكْ زِينْ

[1] قاموس عربي عربي،ص260.

[2] الفيروزابادي،القاموس المحيط،ص888.

[3] بن علي محمد الصالح، من روائع علي عناد،ص209.

وقال **محمد كشحة المصعبي** يهجو نساء الزمان بالانحلال[1]:

نِسْوَانْ مَمْصَطْهـــــنْ يِذْهْبِهِنْ ويِذْهِبْ خَلْطِتْهِنْ

صْغَارَاتْ تْنَحِّتْ هِمِّتْهِنْ دارِنْ قِبَاحَة بَنَـــــــاوِيرْ

تْكِشْفِنْ عِرْيَانَه حَالِتْهَا طْلُـــوعْ الرّمِلْ يِوَلِّي هْزِيلْ

ودَلَّلْهَا وصِنَعْهـــــــا نِمْشِي تْخُشْ الزَّنْقَه تْسِـــيرْ

عِرْيَانْ رَاسْهَا وهَلِعْهَا هَاوِ مْخَزِّنْ يَا شَاهِي الكِيلْ

- **قراءة في الشواهد:**

إن العفة في الأخلاق تعد عمودها الفقري ،والمجتمع العفيف هو أصلا مجتمع أمين وطاهر من الرذيلة ولهذه الأهمية يطفح الشعر الشعبي السوفي بالحث على العفة وامتداح أهلها وأكثر ما تبدو خطورة العفة في العرض ولذلك صار الشعراء يجعلون من عفة المرأة نموذجا حيا لعفة المجتمع ككل كيف لا وهي وراء الولد وهي عرض الولد وهي حصن الزوج إذن فهي المجتمع بأكمله .

كما خاض الشعراء في ذم الانحلال والتسيب الخلقي واتخذوا أيضا ما حدث من تسيب في تقاليد المرأة السوفية جبهة للهجوم على الانحلال وأهله والتحذير منهم وهجائهم والتنقيص من أقدارهم ،ولا شك أن العفة كقيمة أخلاقية والانحلال والتسيب كقيمة سلبية تأثر الشاعر في موقفه منها بمادة التراث سواء الشعبي المحلي من حكم وأمثال وعادات وتقاليد وأعراف أو تراث ديني من قرآن وسنة وفقه وعقائد.ولا شك أن المجتمع السوفي مجتمع عفيف بالتوارث لأنه مجتمع متدين محافظ ولهذا نجد الشعراء اهتموا بهذه القيمة اهتماما كبيرا وحاولوا تكريسها.

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج2،ص116.

**خامسا : التحذير من آفة التدخين:**

**الشواهد:**

يقول **علي عناد**[1]:

هَا الآفه اللِّي ضَارَّه بِالصَّحَّه نْوَصِّيكْ يَا شَبَابْ لاَ اتَّبَّعْهَا

يَا رَجَّالَـــــــــــــــــه الدُّخَّانْ رَاهُو دَايرْ فِينَا حَالَـهْ

كِيفْ كِيفْ كِي المِرُومْ كِي امْثَالَهْ الدُّخَّانْ بَانْوَاعَهْ ادِيرْ الكَحَّـــهْ

اليَا كَاينْ فِيكُمْ مِنْ قَايِلْ لاَ لاَ اجيبْ حُجْتهْ فِي وَسِطْنَا يَطْرَحْهَا

الدُّخَّانْ هَذا خَصّـــــــــــه ومُولاَهْ عَنْ وَجْهَهْ اتْبَانْ الدَّسَّهْ

الدُّخَّانْ طُوفْ بينـــــــــــا ومَا فِيهْ حَاجَه مِنْ الحَوَايجْ زِينَهْ

التّبْذِيرْ دِيمَهْ والرِّوَايحْ شِينَهْ فِي صَحْتَهْ مُولاَهْ مَا يَنْجَحْهَـا

ها الافة يا لمـــــــــــــة الدخان بانواعه معاه الشمـــة

واللِّي تَبَّعْ الخَمْرْ مَا كْبِرْ هَمَّهْ يُومْ الاخْرَه اللِّي دَارْهَا يَشْبَحْهَا

التَّبْذِيرْ والمِصْرُوفْ دِيمَهْ مَاشِي والغَالْيَهْ عَنْ جَالَهْ يَدْفَعْهَـــــا

فِيهْ نَاسْ ذِرِّيتَهْ تْبَاتْ بْلاَ شِي هُو يْبَاتْ خَابِطْ قَرِعْتَهْ رَاضِعْهَا

هَا الافَه اللِّي ضَارَّه بالصَّحَّه نْوَصِّيكْ يَا شَبَابْ لاَ اتَّبَّعْهَا

[1] بن علي محمد الصالح: ديوان علي عناد،ص152-153.

**-قراءة الشواهد:**

لقد اهتم الشعراء الشعبيون بتربية الأجيال وتحذيرهم من بعض الآفات خاصة منها آفة التدخين فقد حاول الشاعر في القصيدة السابقة الشباب من السقوط في مخالب هذه الآفة التي ثبت ضررها صحيا واجتماعيا واقتصاديا ،فالشاعر يوصي الشباب بعدم إتباع هذه الآفة الضارة. ويعدد الشاعر سلبيات هذه العادة السيئة فالمدخن منبوذ في المجتمع بسبب رائحة الدخان الكريهة ولهذا فالشاعر يكرس النظرة السلبية للتدخين والمدخن لينفر النفوس منها وهو بذلك يربي ويحذر من العادات السيئة.

**سادسا : قيمة الحث على العمل:**

يقول **علي عناد** في عيد العمال[1]:

شَهَرْ مَايْ فِي لَوْطَانْ عِنْدَهْ قِيمَهْ اوفِي وَطِنَّا ذِكْرَى عَلِيه قْدِيمَه

شَهَرْ مَايْ يَا سَمَّاعَـــــــــهْ يُومْ عِيدْ اللِّي يَعَمْلُو بالسَّاعَـهْ

وُرُوحْ العَمَلْ وَاجِبْ عَلِيناَ الطَّاعَهْ وامَّا لمخْوَه تَابْعِتْنَا دِيمَـــــــهْ

نِتْعَاوْنُوا كُلْ حَدْ واسْتِطَاعَـــــهْ سُوى فِي المِدُنْ وَلاَّ عَرَبْ الخِيمَهْ

تْعَـــــــاوْنُوا يَا خُويَـــــــا عَلَى شَيْء صَالِحْ بِيكْ انْتَ أوبِيَّ

بالعِلِمْ ولاَ بِعَمَـــــــــلْ ايدَيَّا نِخْدِمْ ارَاضِي وَاسْعَه وكْرِيمَـــــهْ

بْرُوحْ العَمَلْ تُقْعُدْ بْلاَدِي حَيّهْ ابها كذك ما تَبْقَاشْ لَرِضْ بِتِيمَـهْ

ابها كَذَاكَنَبْقُو خَـــــــــاوَه والقْلُوبْ مَا تَلْقَاشْ فِيهَا قْسَاوَهْ

بْرُوحْ العَمَلْ احْوَالْنَا تِسَّـــاوَهْ نْعَادِي الكَسَلْ طُولْ الزِّمَنْ نْصِيَمَهْ

برُوحْ العَمَلْ واجِبْ فَرْضْ عْلِينَا وُحَبْ الوَطَنْ مَا فِيهْ تِخْمِيمَـــــــه

ويقول شاعر[2]:

شمَرُوا شمَرُوا شمَرُوا عَلِيهَا السّوَاعِدْ

شمَرُوا شمَرُوا العَمَلْ اسَاسْ وَالقَوَاعِدْ

[1] بن علي محمد الصالح: ديوان علي عناد،ص67-68.

[2] عبد الناصر باهي:أغاني الألم والفرح،ص17.

الوَطنْ بِينا يِتْقَعِّـــــدْ الشَّرْ يَخْطَانَا وايبَعّـــدْ

حُبْ الوَطَنْ يالله انْصَعِّدْ أوَّلْ مَـــايْ عِيدْ العُمَّالْ

ايِدِكْ يَا لعَامِلْ شِرِيفَـــهْ اتْعِيشْ حَيَاةْ هَايْلَه وظْرِيفَهْ

**–قراءة في الشواهد:**

لقد اعتنى الشعراء الشعبيون بالحث على العمل وتقديسه فقيمة العمل من أهم القيم الأخلاقية والاجتماعية التي حرص الشاعر على تكريسها والدعوة إليها، فالعمل هو السبيل الوحيد لكسب الرزق وضمان سبل استمرار الحياة. فالعمل في حد ذاته قيمة إنسانية متميزة بين مجموعة من القيم التي تنظم مقومات الوجود الإنساني كما أنه له دور أساسي في تحقيق القيمة الفعلية للحياة مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته،فالعمل هو الذي يحول الشيء المعدوم القيمة إلى نافع له قيمة نفعية أو جمالية ولهذا وجب إتقانه حتى ندرك ما نصبو إليه ونحقق ما يلزم تحقيقه لهذه القيمة البالغة للعمل اهتم الشعراء الشعبيون بالعمل ونظم الشعراء قصائد شعبية للاحتفال بعيد العمل العالمي.

**2 - القيم الدينية:**

**أولا : التوحيد**

1 - مفهوم التوحيد: لغة:هو وحد توحيدا جعله واحدا، والمتوحد المنفرد[1].

واصطلاحا: إخلاص المحبة لله وحده [2].وهو اعتقاد إلوهية الله وحده أي لا معبود بحق إلا هو وهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

[1] الفيروز أبادي،القاموس المحيط،ص293.

[2] عبد الرحمن السعدي :القول السديد في مقاصد التوحيد ،ص95 نقلا عن الحب والبغض في القرآن الكريم،ص301 .

## 2 – الشواهد:

قال **علي بن عحمية الفرجاني**[1]:

مِنْ نُورْ القُمَرْ والشَّمِسْ نَبِي رَحْمَه لْكُلْ جِنِسْ

يشْعُرْ عَنَّهْ الجَانْ والإنِسْ سُبْحَانَهْ عَظيمْ نْشِدَّهْ

دُوَانَا بْصِلاَةْ الخَمِسْ عَرَفْنَا بْوَاحِدْ وَحْدَهْ

قالت **عائشة بنت على القمارية**[2]:

بِسْمِ الكَرِيمْ رَبْ حَسَنْ الصِّفَاتْ يَا خَالِقْ السَّمَا والارِضْ

هَزِيتْ مِنْ خَلِقْتَهْ طَايِرْ وْحَاطْ تَعْلَمْ قْلُوبْهُمْ بِالسِّرْ

قال ناجي بوعزة[3]:

نُطْلُبْ فِي السِّبْحَانْ يَا غَالِي شَانَهْ وَاتِ بْخِيرْ كِثِيرْ مِنْ عِنْدِكْ جَانَا

رَبِي طِلَبْتْ السِّبْحَانْ يَا مْفَاجِي كَرَبْ الكَسْدَانْ

### –قراءة في الشواهد:

اهتم الشعراء بقضية التوحيد كقضية أساسية في الدين إذ عليها ينبني صحة الدين كله وعلى الرغم ما في عقائد العامة من الشوائب كالتعلق بالأولياء الصالحين والاعتقاد بكراماتهم كما رأينا في الفصل السابق إلا إن الحرص واضح في تحقيق توحيد الله في العبادة والاعتقاد ،كما ظل الشعراء الشعبيون يحذرون من الشرك الأكبر ويجعلونه محبطا للعمل وبابا إلى النار وبئس المصير.وهم منطلقون في عنايتهم

[1] أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون،ج2،ص44.
[2] المرجع نفسه،ج3،ص26.
[3] المرجع نفسه،ص41.

بقيمة التوحيد والقيمة السلبية الشرك من نصوص قرآنية وأخرى نبوية من مثل قوله تعالى: ﴿ واعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا﴾[1]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[2]. وقوله أيضا:"من مات يشرك بالله شيئا دخل النار" [3] و لأن التوحيد أصل الديانة به تصلح العبادات وتقبل الأعمال والشرك رأس المفاسد ،به تبطل الأعمال.

**ثانيا قيمة التوبة**

1 – مفهومها:لغة: هي الرجوع من الذنب [4]، وهي الإقلاع عن الذهب مع الندم وعقد العزم على عدم العودة إليه ،وتاب يتوب تائبا والتائب هو العائد إلى ربه بعد الابتعاد

**2 – الشواهد:**

يقول **علي عناد**[5]:

يَا قَلِبْ وَصّيتِكْ اولاَكْ مُـــولَى الوَقْتَاشْ وانْتَ تْقُولْ خَلِّي خَلِّي

الوَقْتَاشْ وانْــتَ رَايـــــــحْ الوَقْتَاشْ وانْتَ فِي البَحَايِرْ سَايِحْ

الوَقْتَاشْ غَادِي فِي البَحَرْ تِطَّايِحْ اليُومْ فِي لَيَّامْ يَلْزَمْ قُلِّـــــــــي

تَعَّبِتْنِي وخَلِّيتْ رِيقِي شَايِـــــحْ تَبَّعْ طِرِيقْ اللهَ تُوبْ وُصَلِّـــــي

تَبَّعْ طِرِيـــقْ يهِمِّـــــــكْ واخْطَى تِبَعْ ابْلِيسْ يَا كَسْرْ امُّكْ

نِهَارْ اللِّي تْوَلِّي خَارْجَه مِنْ فَمُّكْ لاَ نْقُولِّكْ يَا صَاحْبِي لاَ نْقُلِّـكْ.

[1] سورة النساء،بعض الآية،36.

[2] رواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان ،باب من لقي الله بالإيمان،رقم:44.

[3] رواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان ،باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنة،رقم 171.

[4] ابن منظور ،لسان العرب،ص233/1.

[5] بن علي محمد الصالح،روائع علي عناد،ص162.

وَقْتْ اللِّي تْلِمّكْ لَرِضْ فِيهَا تْغُمّكْ تَنْدِمْ ومَا تَلْقَاشْ بَاشْ تْوَلِّي

كَانْ تُبتْ ثَابِتْ تُوبْتِكْ مَقْبُوَلْـهْ رَحِيمْ قَادِرْ خَالْقِي يِغْفِرْ لِي

ابْجَاهْ النَّبِي واللِّي فِزْعُوا بِمْشُولَـهْ يِغْفِرْ ذْنُوبِي قَبِلْ مَا تُوصِلِّي

ويقول الشاعر **علي عناد** في قصيدة أخرى[1]:

يَا نَفْسِي تُوبِي المولاَكْ راكِ دِرْتِي مْعَايَا العِيبْ

لُو كَانْ انْتَبَّعْ فِي هَوَاكْ تْلُوحِينِي فِي نَارْ لهْيِبْ

يَا نَفْسِي تُوبِي يِزِّيـكْ تَعَّبْتِينِي الله يِهْدِيكْ

يَا نَفْسِي تُوبِي للمُولَى مْن ذْنُوبِكْ عَبِّيتِي عُولَهْ

وقال **الساسي حمادي**[2]:

يَا نَفْسِ تُوبِي من المعَاصِي ذِلِّي لخْاَلْقِكْ فِي احْسِنْ التَّرْكِيبْ

**–قراءة في الشواهد:**

التوبة قيمة دينية بارزة في الشعر الشعبي السوفي ،وقد أطنب الشعراء في الحث عليها وبيان فضائلها وآثارها ،كما خاضوا في تأنيب النفس العاصية وبينوا لها الآثار السلبية للمعصية والتي عاقبتها الخسران إذا مات العبد عليها دون توبة .ونجد الشاعر الشعبي يخاطب نفسه أو قلبه ليبلغ رسالته إلى المجتمع ويكون ذلك ابلغ في التأثير لأن الإنسان عادة يبدو صادقا وهو ينصح نفسه ويربيها.

[1] بن علي محمد الصالح :روائع علي عناد،ص163.

[2] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي،ص69.

وقد عبر الشعراء عن الألم الذي يعانيه الفرد المسلم من العصيان وبالتالي يحثونه على التوبة والفرصة مفتوحة أبدا للأوبة إلى الله وطاعته.

وقد ذكر الشعراء بالموت ولحظات الوداع كشعور اضطراري لإحداث التوبة كما جعلوا التوبة عز وتطهير وشكر للخالق. كذلك جعلوا المعصية ذلا وسقوطا في حمأة الشهوة ومستنقع الشيطان والعاصي عبد لنفسه وشيطانه وجعلوا تسويف التوبة ضعف وخزي وخسارة ودعوا إلى استغلال فرصة الحياة والصحة والعقل قبل إن يأتي الموت ويندم الإنسان يوم لا ينفع الندم شيئا.

ولقد أخذ الشعراء الشعبيون ثقافة الاهتمام بقيمة التوبة من نصوص التراث الديني
ومن ثقافة المجتمع السوفي وآدابه وهناك زخم عالي من النصوص الشعبية في الشعر والأمثال والغناء تحث على التوبة وتحذر من العصيان وآثاره. وهذه نصوص القرآن والسنة تعمل في نفس الاتجاه من مثل قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم:"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"[2].

[1] سورة النور،بعض من الآية 31.

[2] رواه البخاري.

**ثالثا : صوم رمضان:**

1 - مفهوم الصيام: الصيام لغة: أمسك عن الطعام والشراب والنكاح والكلام والسير [1]. وهو القيام بترك شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طيلة شهر رمضان بنية التعبد.

**2 - الشواهد:**

قال **الساسي حمادي**[2]:

هلْ هْلَالِكْ يَا رُمْضَانْ ظَاهِرْ بَانْ مَرْحَـــى يَا شَهَرْ الغُفْرَانْ

هلْ هْلَالِكْ بَانْ جْدِيدْ قْدُومِكْ عِيدْ الصُّومْ فَرِضْ ووَاجِبْ أكيدْ

فيه راحَه للجسمْ افيدْ وللايمانْ صُومْ المؤمِنْ للرّحْمَـــــنْ

قال **علي عناد** (في وكالة رمضان)[3]:

يَا نَفْسِي تُوبِي المولاَكْ راكِ دِرْتِي مْعَايَا العِيبْ

لُو كَانْ انْتَبَّعْ فِي هَوَاكْ تْلُوحِينِي فِي نَارْ لهْيبْ

يَا نَفْسِي تُوبِي يِزِّيكْ تَعَّبْتِينِي الله يِهْدِيكْ

يَا نَفْسِي تُوبِي للمُولَى مْن ذْنُوبِكْ عَبِّيتِي عُولَهْ

[1] الفيروز أبادي ،القاموس المحيط،ص102.

[2] بن علي محمد الصالح: ديوان الساسي حمادي،ص122.

[3] بن علي محمد الصالح:روائع علي عناد،ص162.

**-قراءة الشواهد:**

اهتم الشعراء بالدعوة إلى التزام الفرائض الدينية كقيم تمتن علاقة الفرد بربه وتقوي إيمانه الذي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وقد كان للصيام نصيبه اللائق في اهتمامات الشعراء الشعبيين حتى اعتبروا رؤية هلاله عيدا وبهجة ومناسبة للغفران تحدثوا عن فوائده الجسمية والروحية... ودعوا إلى إخلاص النية في صومه لله سبحانه وتعالى. كما حمل الشعراء بشدة على منتهكي حرمة الشهر الكريم فجعلوهم عبدة للشيطان ولأنفسهم وأجازوا لأنفسهم الإنكار عليهم والتشنيع بهم وذكروا أولئك المارقين عن طاعة الخالق بالنار التي هي مصير كل من عصى ربه وتمادى في كفره وعصيانه .وقدم الشعراء صورة بشعة لمنتهكي حرمة الشهر فجعلوهم كالأنعام إذا لا يستطيع وتحمل مشاق الجوع والعطش كما اعتبروا من خان أمانة الصوم خائنا لا يعتد بأمانته.

وقد عرف الشعراء الشعبيون اهتمامهم بقيمة الصوم إيجابا وتركه سلبا من ثقافتهم وثقافة مجتمعهم السوفي كما جاء في نصوص القرآن والسنة وكما هو في المقولات والحكم والأمثال الشعبية الموروثة ونجد من ذلك قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾[1] .وقوله صلى الله عليه وسلم:" من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[2].

[1] سورة البقرة، بعض الآية 185.

[2] رواه البخاري.

**استنتاج:**

من خلال دراستنا للشواهد الشعرية نجد أنها حافلة بحشد من القيم والتصورات التي تثبت صور المحافظة والتدين للمجتمع السوفي ،ومما لا شك فيه إن الشعر الشعبي السوفي غني بالشواهد على أهمية القيم الدينية والأخلاقية في الموروث الثقافي للمنطقة وترجمة للميزات البارزة للمجتمع السوفي ومخزونه الثقافي. ولعل من المهم أن نذكر أن النصوص الشعرية المحملة بالقيم الدينية والأخلاقية غالبا ما تتمتع بنوع من الثبات والقداسة وهو ما يحميها من التغيرات ؛فالشعر الشعبي إذن مثل الأمثال الشعبية التي تلعب دورا هاما في المجتمع إذ تعبر عن حضارة الشعب وطريقة تفكيره وقيمه الأخلاقية والاجتماعية أما من الناحية التربوية فالأمثال مثل(الشعر الشعبي) تأثير عميق في تكوين نفسية الفرد حيث تعمل على تربية الأجيال وتقويم الأخلاق وإرشاد الناس على عمل الخير و الخلق والإحسان[1].

[1] مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والاتصال ،السنة: 1999 م، العدد24 ،ص228.

**ثانيا: شعر المناسبات**

**تمهيد:**

تحتفل المجتمعات البشرية عامة بكثير من المواسم والأعياد العامة والخاصة وقد احتفلت المجتمعات الإسلامية بأعياد دينية خاصة،مستمدة من أصل اعتقادي وإيماني ،يجسد تعظيم شخصية بارزة وأماكن مقدسة أو أوقات وأزمنة معظة. فقد كان الإنسان وما زال يحي الأعياد الدينية المختلفة الأضحى والفطر و المولد ويعظم شهر رمضان والحج ،أما الأعياد الخاصة فهي المرتبطة بدورة الحياة كالزواج والميلاد والختان... وقد كان الإنسان في هذه الاحتفالات يقوم بطقوس عدة وأشكال تعبيرية مختلفة منها الشعر وبالأحرى الشعر الشعبي وهو محل اهتمامنا فقد كان الشاعر الشعبي حاضرا في جميع هذه المناسبات العامة والخاصة وأدلى بدلوه فيها. وهذا ما سنحاول معرفته في هذا المبحث.

## I. الشعر الخاص بالمناسبات الدينية:

### 1 – المولد النبوي الشريف:

تولى ليلة ميلاد الرسول الكريم أهمية كبيرة ،ذلك أن ظهوره إلى الوجود يعتبر نور فمولده عليه السلام هو مولد آخر الأنبياء والمرسلين والمبعوث إلى البشرية جمعاء لينصح الأمة ويبين لها الطريق الصحيح :"إن الاحتفال بذكرى مولد الرسول الكريم يندرج ضمن قوله تعالى: ﴿وذكروهم بأيام الله﴾ ومن أيام الله يوم نزول القرآن ،ويوم مولد نبي هذه الأمة ،فنحن عندما تقوى صلتنا برسول الله نتذكر شيئا من أخلاقه وسيرته صلى الله عليه وسلم،وكل المعاني التي علمنا إياها ،هذه المعاني التي نحتفل بها وندعو إليها ،ونذكر بها"[1].

يحضا المولد النبوي الشريف في منطقة وادي سوف باهتمام كبير فهو مناسبة للإعراب عن مدى حب الرسول الكريم والدين الحنيف. وطريقة إحياء المولد تختلف من منطقة لأخرى فهو احتفال كبير له مظاهر عدة وما يهمنا هنا هم الشعراء الشعبيون وما ينظمون من قصائد ومدائح دينية تتعلق بهذه المناسبة وهذا ما سنحاول عرضه في هذا المبحث .

– يقول **شاعر**[2]:

الله مْصَلّي عَلِيكْ يَا الهِادِي يَا مُحَمّدْ شَارِقْ الانْوَارْ

امْصَلِّي عَلِيكْ رَبْ العِبَادْ واسْمِكْ الامِينْ المخْتَارْ

صَلُّوا عَنَّهْ فِي كُلْ يُومْ عَنْ الامْجِدْ بَابَا فَطُّومْ

غْيُومَا يَخْلُقْ حَيْ القَيُّومْ ابْشَهْوِةْ رَبِّي مَا دَارْ

[1] أبو عبد الله غلام الله:حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ،مجلة رسالة المسجد،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،عدد 3 ، 1429هـ، 2008 ص 82.

[2] عبد الناصر باهي: أغاني الفرح والألم،ص 35.

الله مْصَلّي عَلَى الرَّسُولْ قَدْهَا لخِيـــــــــــطْ المغْزُولْ

وقَدْ النَّاشِفْ والمبْلُولْ وقَدْ العْشِبْ اللِّي فِي الدّنْيَا ثَارْ

وقَدْ مَا كِتَبْتِي يَا الاقْلاَمْ وصَلُّوا عَـــلَى الهَادِي العَدْنَانْ

وقَدْ مَا تْعَاوِدْ فِيكْ السَّلاَمْ وقَدْ الشَّافِي وقَـــدْ الضَّـــارْ

فِي يُومْ الْ نَبِينِا زَادْ الفَرْحَة عَمِّتْ كـــــــلْ بْلاَدْ

طُفَتْ النَّارْ وَلِّتْ رْمَادْ ورَاحْ الجَهِلْ مَا بِقَاشْ العَـــــارْ

سِيدِي الِّي جَاهْ البِعِيرْ بِشْكِيلَهْ ما بِيـــــــــــهْ يْسِيرْ

يستهل الشاعر قصيدته على الصلاة على سيد الأمة ثم بدا يعدد سماته بأنه الأمين المختار وهو من صلى عليه رب العباد وهو أبو فطوم يقصد ابنته(فاطمة الزهراء) ويدعو المستمعين بالصلاة عليه دون حساب فهو يقول عدد الخيوط المغزولة وعدد العشب الذي ينبت في هذه الدنيا و... وكل ذلك كناية عن الإكثار من الصلاة عليه لأنه استعمل الأشياء التي يصعب إحصاؤها أو بالأحرى يستحيل .ثم ينتقل الشاعر إلى تعظيم يوم مولده واعتباره يوم عظيم بالنسبة للأمة الإسلامية ففيه ولد من سيزيل الغمة على الأمة وينير الدرب المظلم وينشر العدل وينصح الأمة ويهديها إلى الطرق المستقيم فهو بخصاله الحميدة وأخلاقه الراقية أحبته أمته و اتبعت طريقه فحتى الحيوان كما يقول الشاعر اشتكى له كل ذلك من شدة عطف الرسول وحنانه ورأفته بالإنسان، والحيوان.

- يقول الساسي **حمادي بمناسبة المولد النبوي**[1]:

يَا مَرْحَبَا رُبِيعْ هَلْ عْلِينَا بمِيلاَدْ طَهَ نَبِينَا كُلْ عاَمْ ذِكْرَاكْ تْعُودْ تْجِينَا

فِي مَوْلِدْ مُحَمَّدْ طَهَ رَسُولْ الله المِمَجِّدْ

والنُّورْ فِي مَكَّة تْجَمَّعْ تْلَمَّدْ الرُّومْ قَالُوا شَاهَدِتْ عْنِينَا

يعتبر الشاعر شهر ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ربيع الأول ربيعا يحل بكل ما في هذا الفصل من خير و روعة و نور ثم أخذ يعرف الناس بنسبه ثم أخذ يعدد كرامات والتي منها انبعاث النور في مكة وانتشار العدل حتى أن الروم ربما يقصد بها الكفار يقولون بأنهم فعلا شاهدين على هذا التغير وهذا الخير الكثير الذي حدث بعد مجيء محمد الكريم.

## 2 - الفرحة بحلول شهر رمضان:

شهر رمضان شهر عظيم عظمت قداسته بنصوص القران الكريم فهو شهر الرحمة والغفران وهو الذي نزل فيه القرآن نورا وهدى للعالمين وفيه ليلة مباركة وصفها سبحانه وتعالى بأنها ليلة خير من ألف شهر ولذلك كان شأن عظيم في نفوس المؤمنين ،وانعكس ذلك في جميع سلوكاتهم وفي جميع جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،فأضحي من المواضيع الأساسية في شتى الفنون والآداب الإسلامية ،واعتبرها مناسبة سعيدة يحتفل بها بأشكال عدة وهذا الشاعر الشعبي يشارك في هذه المناسبة السعيدة بقصائده وأشعاره ونحاول أن نذكر بعضها.

[1] بن علي محمد الصالح: ديوان الساسي حمادي ،ص122.

يقول **علي عناد**[1]:

مَرْحَبْ بشْهَرْ الصِّيَامْ تتْوَحّدْ فِيهْ الاسْلاَمْ

يَا شَهَرْ الدِّيـــــــنْ شَهَرْ التُّوبَه واليَقِينْ

تَفْرَحْ بِيه المسْلِمِينْ فِي انْحَاء العَالمْ تَامْ

شَهَرْ البَرَكَـــــاتْ شَهَرْ الرَّحْمَه والخَيْرَاتْ

اللِّي نِزْلِتْ فِيه الايَاتْ عَلَى الهَادِي سَيّدْ الانَامْ

يقول **الساسي حمادي**[2]:

هلْ هْلَالِكْ يَا رُمْضَانْ ظَاهِرْ بَانْ مَرْحَى يَا شَهَرْ الغُفْرَانْ

هلْ هْلَالِكْ بَانْ جْدِيدْ قْدُومِكْ عِيدْ الصُّومْ فَرِضْ ووَاجِبْ اكِيدْ

فيه راحَه للجِسْمْ افيدْ وللايمانْ صُومْ المؤمِنْ للرّحْمَنْ

- **قراءة في الشواهد:**

صور لنا الشاعر فرحة الناس بشهر رمضان الكريم كونه شهر يتحد فيه المسلمون ويعم فيه الخير والرحمة والبركة. ففي رمضان يساوى الغني بالفقير فالكل صائم عن المأكل والمشرب وبكثرة الصدقات التي يعطيها الأغنياء للفقراء يقضى على الفقر والاحتياج وبهذا يعم الخير والفرحة بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى طريقه المستقيم .

[1] بن علي محمد الصالح:روائع علي عناد، ص159.

[2] بن علي محمد الصالح:ديوان الساسي حمادي، ص122.

### 3 – زيارة الأماكن المقدسة:

الحج إلى الأماكن المقدسة فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده المستطعين ،فصار الحنين إلى هذه البقاع شعور يحسه كل مسلم ويتمنى الوصول إليها والتنعيم برؤية هذا المكان المقدس الذي تتوق كل نفس لرؤيته.وقد جاشت خواطر الشاعر الشعبي لهذه المناسبة العظيمة فكتب شعرا وافرا وصف فيه الرحلة والراحلة وتغنى بالحاج وبالمعالم الدينية الموجودة بالحج كقبر الرسول وأصحابه والكعبة الشريفة وجبل عرفات و... وسنحاول الاطلاع على بعض ما كتبه الشعراء بهذه المناسبة.

يقول **الساسي حمادي**[1]: اعتمر الشاعر سنة 1996م فجاشت خواطره بهذه الأبيات

عبْد اللِّي مْرَضِّي والدِيهْ رُدْ بَالِـكْ مَا تْفَرِّطْ فِيـــهْ
فِي احْمِلْ زْيَـــــــارَه رُحْنَا لِلْهَــادِي فِي دْيَــارَهْ
المْدِينَة تِضْوِي بْنُــوَّارَهْ ربِّي شَرَّفْهَـــــا بْنَبِيـــهْ
لَثْنِينْ اصْحَابَهْ فِي سَارَه بُو بَكِرْ و عُمَرْ النَّزِيـــهْ
فِزَعْنَا مِنْ الـــــــوَادِي التُّومِي و بُوصْبِيعْ و حَمّادِي
جِينَا فِي زِيَارَة لِلْهَــادِي صَلِّينَا وسَلّمْنَا عَلِيـــــــهْ
جِبَلْ احُدْ هُو مقْصَادِي ضَرِيحْ حَمْزَة نِتْبـــَارِكْ بِيهْ

و يقول شاعر شعبي آخر [2] :

يا زَايرِينْ مَكَّة يا حَاجِّينْ البِيتْ
رَبِّي لِيكُمْ زَكَّى و امْعَاكُم نَايَا يَا ريتْ
زَايرِينْ النَّبِي المختارْ محمد رسول الله
زمزم تِشْفِي مِن الاضْرَارْ باليمين نِحْلِفْ وَ الله

[1]– بن علي محمد الصالح : ديوان الساسي حمادي ، ص: 122.
[2]– عبد الناصر باهي : أغاني الألم و الفرح ، ص: 68.

انْشَاء الله طهور و طْهارَه و تُوبَة نَصُوحَة جِلِيلَهْ
في الحج كلك ابْشَـــــارَهْ الحياةْ اتْوَلِّي نَعِيمَهْ
مبْروكْ عْلِيكُم مبـــــروك و العَاقْبة لِلمؤمْنينْ
يَا سَعِدْ العَبْدْ المِمْنُـــونْ و هَا الامَّة اجمعينْ
حج مبرور انشـــــاء الله الذنب مغفور باذن الله
على و جوهكم نور ما شاء الله علِّيتُو الصُّورْ تبارك الله

**-قراءة في الشواهد :**

صور لنا الشعراء الشعبيين الفرحة التي تنتاب الحاج و مكانته بين أهله فالحاج محل نظر و اعتزاز بين أهله و يحظى بمكانة مرموقة فهو مازال يحمل القداسة التي جاء بها من البقاع المقدسة . فالشاعر الأول (الساسي حمادي) وصف لنا رحلته إلى البقاع المقدسة مع أصدقائه و كيف زاروا النبي محمد و أصحابه و وقفوا على المعالم الدينية. أما الشاعر الثاني فهو يتغنى و يمدح في الحجاج و يتمنى لو أنه معهم .

## 4 - الشعر الخاص بمناسبات دورة الحياة :

**تمهيد :**

«تكمن أهمية عادات دورة الحياة إلى أنها الركن الركين للعادات و التقاليد في أي مجتمع إنساني شعبي أو متقدم . فكل إنسان يولد و الأرجح أن يحتفي بقدومه، و كل إنسان يرحل عن الدنيا و الأرجح أن يحزن بعض الناس لموته،... و الغالبية من الناس يتزوجون... إذن كل أفراد المجتمع –أي مجتمع– شركاء في هذه العادة أو تلك، لأننا كلنا نعيش هذه الحياة، و ندور معها في مراحلها من البداية و حتى النهاية.»[1] .

و كما يقول محمد الجوهري دورة الحياة فيها مناسبات عديدة تتعلق بالإنسان منذ ولادته و حتى وفاته. و تتطلب هذه المناسبات القيام باحتفالات ، و قد (احتفل العربي في الجاهلية و الإسلام بكثير من المواسم و الأعياد العامة و الخاصة. فقد كان و مازال يحي الأعياد الدينية المختلفة... و الأفراح الخاص و كالزواج و الخطبة و الميلاد و الأسبوع و الختان و غيرها و قد وصلت إلينا عدة أخبار عما كانوا يفعلون في هذه المناسبات و وصفت السيدة عائشة، رضي الله عنها ، ما كان يفعله الأحباش في المدينة في أعيادهم ، إذ كانوا يرقصون ، و يلعبون و...) [2] كل ذلك يدل على مظاهر الاحتفال بمناسبات دورة الحياة و كذا الإنسان السوفي احتفل بهذه المناسبات بمظاهر و أشكال عدة لكن ما يهمنا هو ما قاله الشاعر الشعبي و ما عبر بهذه المناسبات .

### 1-الزواج :

قال الشعراء الشعبيون العديد من الأشعار و اتخذت كأغاني في الأفراح و قد وصفت لنا العديد من العادات و التقاليد التي يقام بها في هذه المناسبات نجد من هذه الأشعار.

[1]- محمد الجوهري: مقدمة في دراسة الموروث الشعبي المصري، جامعة القاهرة، ط1، 2006م، ص 233.

[2]- ينظر حسين نصار: الشعر الشعبي العربي ،ص 49- 50.

-يقول **شاعر**:[1]

ردي علي يا بنيت العرجون ردي علي يا كاملة في الزين يا السوفية

المشْيَة ظِرِيفَة و الحَاجِبْ قَتّالْ و الحِلَّه خَفِيفَه

و الحُولِي سِيتَانْ زَايْدَتَهْ سْفِيفَه

لِخْزَامْ بُوعُرْضِينْ طَيَّه بْطَيَّه يَا بِنْتْ العَرْجُونْ رُدِّي عَلَيَّ

زِينِكْ يْحَيِّرْ خَلاَّنِي مَمْحُونْ و انَا صْغَيَّرْ

لمقَاوِسْ فُضَّة مِنْ بِعِيدْ اتْشَيِّرْ

خَلْخَالْ بُوعُرْضِينْ نَسْمَعْ دَيّهْ يَا بِنْتْ العَرْجُونْ رُدِّي عَلَيَّ

الشاعر في هذه القصيدة يخاطب البنت السوفية و يكنيها (بنيت العرجون) و هي كناية على اشتهار المنطقة بمنتوج التمر و العرجون فهي من كثرة تواجده حتى أصبحت بنتا له و القصيدة عبارة عن غزل عفيف يصف فيه الشاعر محبوبته و يتغزل بها و هي في نفس الوقت عبارة عن صورة فوتوغرافية للعروسة في المنطقة و ما تلبسه و ما تتزين به فكما يقول الحولي و هو لباس تلبسه المرأة السوفية خاصة في المناسبات السعيدة و هو يصف مشيتها و قدها و كذلك صور لنا أدوات الزينة الموجودة في المنطقة و منها (الحنة) و هي خضاب تضعه العروس على يدها و رجليها و كذلك (المقاوس فضة) و هي أساور من فضة تلبس في المعصم و نجد كذلك (الخلخال) و يلبس في الرجلين بحيث يسمع له صوت عندما تمشي المرأة و وصفه الشاعر بأنه يسمع دويه.

[1]- العربي الجديدي : من التراث الشعبي السوفي ، ص: 119.

-و يقول **شاعر** آخر:[1]

الحُوتْ عْلِيكْ يَا عْرُوسَــه الحُـــــوتْ عْلِيـــــكْ

و الحُوتْ عْلِيكْ رِبِي ايْتَمِّمْ و ايْنَجِّيـــــكْ يَا عْرُوسَــه

فِي يُومْ الاثْنِيـــــنْ مَسْتَنِي اتْحَنِّيهـــــا ايدِيـكْ

رَايْحَه الحَمّـــــــــامْ و افْلاَيزْ مَلْيَانَه لِيكْ يَا عْرُوسَه

جَاء يُومْ الخْمـــيسْ و فِي دَارِكْ هِزِّي عِينِيـــــكْ

الشاعر وصف لنا في هذه المقطوعة العروسة أيام العرس واستهل قصيدته بلفظة(الحوت عليك) وتستعمل هذه العبارة في المنطقة للتطير من العين الحاسدة ومن أي أذى يلحق بالعروسة ،وقد وافانا الشاعر بأهم تفاصيل العرس في المنطقة قائلا في يوم الاثنين تضع العروس الحناء وفي يوم الخميس تزف إلى بيت زوجها.

## 2-الفرحة بإنجاب الأبناء

ليس هناك حدث في حياة الإنسان ،أهم من ولادته أو مجيئه إلى هذا العالم ،وقد قال الشعراء الشعبيون أشعارا اتخذت أغاني تغنى في هذه المناسبات السعيدة نجد منها:

- يقول **شاعر**[2]:

سَعْدَ ايَّامِي ايْدُومَ عْلَيَّ نَلْحَقْ فَرْحَه وعِينِي حَيَّه

سَعْدِي بَاوْلاَدِي... كِبْرُو وَلُّوا كِيفْ انْـــدَادِي

[1] عبد الناصر باهي : أغاني الألم و الفرح ، ص،93.

[2] العربي الجديدي:من التراث الشعبي السوفي،ص124.

نَسْمَعْ كَانْ فِي الصُّوتْ يْنَادِي قَالُو لِي يَا بَابَا هَيّـا

سَعْدَ ايَّامِي بِيْنَـــــــــيّاتِي كِبْرِنْ وقولي فَرْشَــاتِي

قَالِنْ يَابَابَا وَاشْ شَـــــــاتِي لِبْنَيّه حَنِينَه فِيَّـــــا

قُولِي عَنَّهْ مِشْ خْسَـــــارَه وِلْدِي البَدْرِي يَا الحَنَّانَه

سَعْدَ ايَّامِي ايْدُومَ عْلَيَّ نَلْحَقْ فَرْحَه وعِينِي حَيَّه

الشاعر يغني أبناءه بهذه الأشعار ويفتخر بهم ويتمنى أن يكبروا في عزة ويفرح بهم أي يزوجهم وقد كان اعتزازه بأولاده الذكور والإناث على حد سواء فكل أبنائه ذخر للزمان فالبنات يفرشن ويقمن بأعمال البيت والأولاد يقمن بأعمال خارج البيت .صور لنا الشاعر الفرحة الكبيرة التي يحسها الآباء عند الرزق بالأبناء فهم زينة الحياة .

ويقول **شاعر** آخر[1]:

يَا سَعْدِي بِيهْ وانْ شَاء الله نْقَمِّطْ بَدْرِيهْ بدنيه لَفْرَاحْ والدّرْبُوكَه تُضْرُبْ لِصُّبَاحْ

يَا للِّي تَسْمَعْ غِيرْ هَيّـــــــــا الرَّاحْ فَرْحَه دَايمْ كَانْ عَنْ وَالْدِيـــــــــــهْ

عادلي بداره يا للي كبرلي قد نصر خاله هذا وليدي سيد الرجالة في عرسه قلبي يهنيه

يعتبر الشاعر مجيء الأبناء إلى هذه الدنيا سعادة كبيرة ويتمنى لو يبقى على قيد الحياة ليفرح بأبنائه وهذه القصيدة تعتبر من شعر الهدهدة الذي تقوله الأمهات لرضيعها ويكون في غالب الأحيان أدعية واستبشار بهذا الولد الذي سيكون في المستقبل ذخرا لوالدته ووالده وتتمنى له في المستقبل أماني كثيرة فالشاعر هنا يتخيل أن ابنه كبر وأنه الفرح بزواجه قد قرب ثم يتمنى أن يكبر ويصبح مثل خاله...

[1] العربي الجديدي:من التراث الشعبي السوفي،ص123.

### 3-الوفاة(النواح):

الحياة تستلزم الموت ،والفرحة بالميلاد تقتضي الحزن بالغناء ،والوفاة هي النهاية الطبيعية للكائن الحي وقد تألم الإنسان لهذه المناسبة أشد ألم عبرت الفئة الحساسة منهم وهم الشعراء بشعر يعبرون به عن حزنهم ويواسون به أنفسهم وهو شعر يعددون فيه مناقب المفقود .ونجد العديد من الأشعار في هذه المناسبة المؤلمة.

يقول **علي عناد** في فقدان أبنائه[1]:

اثْنِينْ شَدُّوا كَبِدْتِي صِحْنُوهَا واثْنِينْ زَادُوا وكَمِّلُوا حِرْقُوهَا

حِرْقِتْ ووَلِّتْ غَبْرَه مَا مَرْ مُرْ الصَّبِرْ وَاعِر صَبْرَهْ

وعْمَاشْ مِنْ بَعْدِ الحَرِيقَه تَبْرَى ثمَّاشْ طُبْ لكَبِدْتِي دَاوُوهَا

القَلِبْ بِينْ المِطِرْقَه والزُّبْرَه رَفْ اتْرِضَفْ كبِيدْتَهْ هَزُّوهَا

اثْنِينْ عَنِيِّ صَدُّوا سِبَقْ بِيهُمْ قَلْبِي مِشَوْا وتْعَدُّوا

كَسلَتْهُمْ قِبِلْتْهُمْ واتْمَدُّوا دَارْ فَانْيَه مِنْهَا مِشَوْا خَلُّوهَا

ويقول في قصيدة أخرى لفقدان ابنه كما سماها فقدان العزيز[2]:

يَا خَالْقِي هَاتْ الصُّبَرْ نَسِّينِي وبَـــرِّدْ النَّارْ الشَّاعْلَه فِي كْنِينِي

شَاعْلَـــــــــــــه نِيرَانِي عَلَى زُولْ مِتْغَيّبْ مِشِي خَلاَّنِي

كُلْ وِينْ نُنْطِقْ ذِكِرْتَهْ فِي لْسَانِي وَكُلْ وِينْ نِمْشِي نُوجِدَه مْسَامِينِي

[1] بن علي محمد الصالح: ديوان علي عناد،ص.121.

[2] المرجع نفسه:ص121.

جَتْ مِيتَّهْ مَعْجُولَـــــــــــه امْسَطَّرْ كِتَبْ مْقَدِّرْ حَكَمْ المولَى

بَعِدْ مَا وْصُلْ سُطَّاشْ وَافِي حُولَهْ غَيَّبْ طِلَسْ مَا عَادِشْ يلاَقِينِي

دُورْ عَامْ مَا اتَّقَّاشْ عَنِّي زُولَـهْ وسَاعَاتْ صُوتَهْ نَسِمْعَه ينَادِينِي

ويقول علي عناد في قصيدة "الفقيد الراحل"وهو الشاعر الشعبي صديق الشاعر علي عناد ورفيق دربه الإبداعي توفي الساسي حمادي فرثاه صديقه بهذه القصيدة[1]:

غَيِّبْ سُفَرْ مُولاَكْ يَا تِصْوِيرَه نْخَبِّيكْ نِسْتَحْفِظْ عَلِيكْ ذْخِيرَه

نْخَبِّيكْ فِي كُرَّاسَـــــــــه ونْشُوفْلِكْ مَضْرِبْ أعَزْ بْلاَصَه

وقَرَّرِتْ قُلِتْ انْدِيرْ لِكْ عَسَّاسَّه يِحْمُوكْ فِي غِيَابِي عَلَى التِّغْيِيرَه

الله يَرَحْمَهْ ويُوجِدْ سِلاَكْ خْلاَصَهْ ويِغْفِرْ ذْنُوبَهْ ،الله بَاسِطْ خِيرَه

كِي نْشُوفْهَا كَايِنِّي شِبَحْتْ السَّاسِّي نْعَدّي مْعَاهَا وَقِتْ فِي التِّقْصِيرَهْ

وكُلْ وَقتْ فَاكِرْ بِيهْ مَا نَاسِي صْغُرْ خَاطْرِي وطَاحِتْ دُمُوعِي غْزِيرَه

كتب الشاعر هذه القصائد وله العديد من المراثي وهو يعاني آلام الفرقة وحرقة الموت وكما يقول المثل (يولد الإبداع من رحم الأحزان)، وفعلا ولدت هذه القصائد الرائعة من لوعة الفراق فصور لنا القصيدتين الأوليتين فاجعته بأبنائه وفقدانه لهم ،وهم في ربيع العمر وفي هاتين القصيدتين العديد من الصور الحزينة والأليمة التي توحي بصدق المشاعر واعتبرت هذه القصائد كنواح وعويل لفقدان ورحيل عزيز لأن كل إنسان أصيب بمصيبة الموت عند قراءته لهذه القصائد يحس كان الشاعر يصف مشاعره ولأنها تعبر عن حاله كل من عاش أحزانا شبيهة بأحزان الشاعر.

[1] بن علي محمد الصالح: ديوان علي عناد،ص 130.

**استنتاج:**

بعد دراستنا للشواهد الشعرية التي اتخذت كأغاني تؤدى في المناسبات السعيدة وكنواح في المناسبات المحزنة نجد أن الشاعر صور لنا العديد من العادات والتقاليد في المجتمع السوفي وقد أدى الشعر الشعبي وظيفته الترفيهية فقد اتخذ منه أغاني تغنى في الأفراح كالزواج والميلاد والختان وكذلك مدائح دينية تؤدى في المناسبات الدينية كالمولد النبوي وقدوم شهر رمضان والعودة من البقاع المقدسة...الخ.

وخلاصة الفصل نحملها في أن للشعر الشعبي وظيفتين أساسيتين أولاهما الوظيفة التربوية التعلمية التي يعمد فيها الشاعر إلى تربية الأجيال من خلال إعلاء بعض القيم الأخلاقية الحميدة ومحاولة زرعها في الأجيال والحط من بعض القيم الذميمة والتنفير منها؛ وثانيهما الوظيفة الترفيهية التي تجعل من الشعر كوسيلة للتسلية بحيث يتخذ في المناسبات الدينية والمناسبات الأخرى كأغاني تؤدى في هذه المناسبات.

**خاتمة:**

بعد دراستنا لمجتمع وادي سوف من خلال الشعر الشعبي توصلنا إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي:

الشعر الشعبي ظل دوما لسان الشعوب منذ أقدم العصور ،فهو المعبر عن حالها ،ويومياتها، ولقد اختلفت الآراء في نشأته وتسمياته، وهل ينسب إلى اللغة المستعملة ،أم إلى مضمونه ،ولقد تعددت الأغراض فيه مثل الشعر الفصيح،ولقد شهد الشعر الشعبي إقبالا واسعا من طرف الشعوب لملائمته لأذواقهم،ولاستعماله لغتهم.

الشعر الشعبي هو إبداع اتسع لصور الحياة والبيئة في منطقة وادي سوف،فمن خلاله تجلت البيئة الصحراوية البدوية واتضح أن المنطقة مزيج من الطرق الصوفية وذلك بحضور البعد الديني الواضح فيه ولقد اعتمد اقتصاد المنطقة على الزراعة والرعي وخاصة غراسة النخيل.

أعطى الشعر الشعبي صورة من النظم الموجودة في المجتمع والتي تؤطرها المنظومة الدينية . فقد عالج الشاعر جميع نواحي الحياة الاجتماعية باعتباره الكائن الحي الأساسي في الكون . حمل الشعر الشعبي على عاتقه وظائف عدة منها ،الترفيهية والتربوية ،فأما الوظيفة الأخيرة فحاول من خلالها الشاعر تربية الأجيال وغرس بعض القيم الأخلاقية الرفيعة والحط من قيم أخرى دنيئة، وأما الوظيفة الترفيهية فقد كان الشعر الشعبي يؤدى في المناسبات الدينية والعامة.

## قائمة المصـــــادر والمراجـــع:


1 - إبراهيم العوامر:الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،تع:الجيلاني العوامر ،منشورات ثالة

2 - الجزائر،(دط)،2007م.

3 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري :لسان العرب ،دار صادر،بيروت،(دط)،(دت).

4 - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني :كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ،تح:عفيف نايف حاطوم،دار صادر ،بيروت ،ط2،2006م.

5 - أحمد الطاهر المنصوري : الدر المرصوف في تاريخ سوف ،دار الهدى ،الجزائر،(دط)،(دت).

6 - دار الهدى ، الجزائر (دط) ، (دت)

7 - أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، دار الثقافة،الوادي،ط1 ، 2008.

8 - أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، دار الثقافة،الوادي،ط1 ، 2009.

9 - أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، دار الثقافة،الوادي،ط1 ، 2010.

10 -أحمد زغب :أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، دار الثقافة،الوادي،ط1 ، 2013.

11 -أحمد زغب :ديوان إبراهيم بن سمينه،رابطة الفكر والإبداع ،الوادي ،الجزائر،(دط)،2004.

12 -أحمد زغب:لهجة وادي سوف(دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث)،مطبعة مزوار،الوادي،ط1 ، 2012م.

13 -أحمد قنشوبة:الشعر الغض،منشورات الرابطة الوطنية ،إتحاد الكتاب الجزائريين،(دط)،(دت).

14 -بشير غريب:لمسة جفاء(شعر شعبي)،مطبعة مزوار،الوادي،ط1، 2012م.

15 -بن علي محمد الصالح :عبد الرزاق الشوشاني شاعر الوطن والبادية،دار الثقافة الوادي،ط 1 2010م.

16 -بن علي محمد الصالح :من روائع الشاعر الشعبي (علي عناد)،من إصدارات دار الثقافة الوادي،ط1،2008م.

17 -بن علي محمد الصالح،حمادي محمد نافع :الساسي حمادي، دار الثقافة الوادي،ط 1، 2006م.

18 -البي بين الشيخ :منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،(دط)،1990م.

19 -ثريا التجاني:دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري،(وادي سوف أنموذجا)،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،(دط)،1998م.

20 -ج كوفي :تر عبد القادر ميهي،غراسة النخيل في سوف،مطبعة مزوار الوادي،ط1، 2013.

21 -حسين حسين شحاته:القيم التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي الإنساني،كلية التجارة،جامعة الأزهر.

22 -حسين نصار:الشعر الشعبي العربي،بيروت،لبنان،ط2 ، 1980م.

23 -حنان عبد الحميد العنابي :الطفل والأسرة والمجتمع،دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان،الأردن،1420هـ،2000م.

24 -دينكن ميشيل :معجم علم الاجتماع، تر :إحسان محمد الحسن،دار الصليعة للطباعة والنشر،بيروت،ط2 ، 1986م.

25 -سعيدي محمد : الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ،سلسلة دروس جامعية ،بن عكنون الجزائر،( دت)،(دط ).

26 -سمير عبد الفتاح :مبادئ علم الاجتماع،دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن،ط1 ، 2006.

27 -الشايف عكاشة:اتجاهات النقد المعاصر في مصر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(دط)،1985.

28 -عاشوري قمعون:أشهر علماء سوف الشيخان،حي الشط الوادي،ط1، 2010.

29 -عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2011.

30 -عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، (دط )، 1986.

31 -عبد الحميد يونس :الهلالية في تاريخ الأدب ،القاهرة،(دط)،1982.

32 -عبد الصمد بالكبير :الشعر الملحون ( الظاهرة ودلالتها )، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ط1. 2010م.

33 -عبد الفتاح ملحس:القيم الروحية في الشعر العربي،دار الكتاب اللبناني،(دط)،(دط).

34 -عبد الكريم قديفة:انطولوجيا الشعر الملحون،القبة،الجزائر،ط2، 2007م.

35 -عبد الله الركيبي:الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي،القبة الجزائر،1972م.

36 -العربي دحو :بعض نماذج الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1986م.

37 -عمار الطالبي:كتاب أثار ابن باديس ،المجلد الأول،ط1، 1968 ،الجزائر.

38 -فهمي سليم العزاوي وآخرون:مدخل إلى علم الاجتماع،دار الشروق،الأردن،ط2، 2000م.

39 -الفيروز أبادي:القاموس المحيط،دار الفكر بيروت،لبنان،طبعة جديدة،موثقة توثيق يوسف الشيخ البقاعي ،(دط) ،2005 .

40 -كميل الحاج:الموسوعة الميسرة في الفكر الاجتماعي والفلسفي،مكتبة لبنان، 2002

41 -مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،شبكة العلاقات الاجتماعية، (دط)،(دت).

42 -محمد الجوهري :مدخل إلى علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية ،ط5 ، 2006م.

43 -محمد الجوهري ،علياء شكري:مقدمة في الأنثروبولوجيا،دار الدولية للمنشورات الثقافية،القاهرة،ط1 2008.

44 -محمد الجوهري: مقدمة في دراسة الموروث الشعبي المصري، جامعة القاهرة، ط1، 2006.

45 -محمد الصالح بن علي:الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية ،مطبعة سخري،الوادي،ط 1 2012م.

46 -محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير ،الدار التونسية،تونس،1984.

47 -محمد العدواني،تاريخ العدواني ،تح: أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط2 2005م.

48 -محمد المرزوقي:الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية ،الدار التونسية للنشر،(دط)،1971م.

49 -محمود الذهني : الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه)،دار الاتحاد العربي للطباعة،القاهرة،مصر،(دط)،1972م.

50 -مكاوي عون،سوداني عمار،سباق عبد القادر بشير :هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة،مطبعة سخري،الوادي،ط1،2014م.

51 -المنجد في اللغة والإعلام:دار المشرق،بيروت،ط 35،1999م.

52 -نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار النهضة ،مصر،القاهرة،(دط)،(دت).

53 -عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (دط)، 1986م.

**الرسائل الجامعية:**

1. أحمد زغب:جمالية الشعر الشفاهي،رسالة دكتوراه،مخطوطة جامعة الجزائر،2007م

2. سنوسي صليحة:السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري،رسالة دكتوراه،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،الجزائر،2012،ص146(مخطوط).

3. علي غنابزية :مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في ق 13هـ 19م رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،2001م، (مخطوط).

4. كمال بن عمر :الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف(جمع وتصنيف ودراسة)،رسالة ماجستير جامعة باتنة،2007م، (مخطوط).

5. محمد بوذيبة: الحكاية الخرافية في منطق ة وادي سوف مقاربة سيميائية، رسالة ماجستير جامعة مسيلة ،2014 ،(مخطوط ) .

**المجـــــــــلات:**

1. مجلة الثقافة،وزارة الثقافة والاتصال، العدد117-1999،118م.

2. مجلة المستقبل العربي،عدد366،مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان،أوت،2009م.

## الملحق: تعريفات موجزة بالشعراء الشعبيين:

1 - **علي عناد:** هو ابن الطاهر بن محمد بن عبد القادر بن محمد عناد بن الظريف بن علي بن أحميدة بن علي بن خليفة ، ولد سنة 1928 بحي سيدي علي دربا لاين تربى وترعرع ودرس القرآن ليكمل حفظه بتونس لما انتقل مع والديه هناك ،ولما بلغ 14 سنة انتقلت العائلة إلى منطقة بلغيث من أجل غراسة النخيل ، وفي سنة 1970 إثر وفاة والده انتقل الشاعر من منطقة بلغيث إلى منطقة المقرن وبالضبط للحمادين ، حيث عمل إماما بمسجدها لمدة سنة ، وغرس به النخيل ،عاش الشاعر علي عناد مكافحا في ارض سوف ،معايشا لفترات متأرجحة بين الاجتياح الشديد وكفاف العيش .

افتك الشاعر مكانا مرموقا لنفسه بتفانيه وصبره وسعة صدره ورباطة جأشه وحبه لما يفعله ويقوله.استحوذ على مسامع الناس كلما قرأ قصيدتهم عليهم فقلما حظي شاعر شعبي معاصر بما حظي به الشاعر .ويعرفنا الشاعر عن نفسه في هذه المنظومة:

علي بن الطاهر بن عناد

شاعر جزائري من ولاية الواد

ألف وتسعمئة وثماني وعشرين الميلاد

في حومة علي دربال زاد

بلدية البرباح العم والخال والاجداد

بلدية المقرن الدار والزوجة والاولاد

2 - **الساسي حمادي** : 1930-1998م: ولد الساسي حمادي بن إبراهيم حمادي ، من قبيلة المصاعبة الظاهرة ، في بلدة دوار الماء على الحدود التونسية الجزائرية سنة 1930 وقد كان أهله يعيشون على الحل والترحال في الأراضي الصحراوية الحدودية وأتيح له أن يختلط بالبدو من البلاد التونسية والالتقاء بالشعراء ، كما أتيح له أن يقرأ نصيبا من القرآن الكريم على يد عمه الشيخ الحسين حمادي قال العديد من القصائد أيام الثورة وقد كان في تونس

3 - **عبد الرزاق الشوشاني:** هو شوشاني محمد عبد الرزاق بن سعد بن صالح بن عثمان ، من عائلة الشواشين قبيلة الربايع ولد سنة 1936م بالرباح من عائلة بدوية وقد بدا حياته في مهنة أبائه وأجداده رعي الغنم، ولم تطل إقامته بالرباح كثيرا حيث تنقل إلى ليبيا طلبا للرزق ،وظل يتردد بين ليبيا والرباح حتى بداية التسعينيات ، وفي هذه الفترة انخرط الشاعر بقوة في الأنشطة الثقافية وأصبح أنتاجه الشعري غزيرا خاصة الوطني منه ، عاش الشاعر حياة صعبة خصوصا في السنوات الأخيرة من عمره إلى أن وافته المنية بدائرة الطالب العربي في 13 نوفمبر 2004م مخلفا من ورائه كما ضخما من القصائد الشعبية .

4 - أحمد الذهبي: أحمد بن محمد بن الذهابية وهم اولاد حميد لصفر وانتسبوا الى قبيلة الرقيعات من قبائل الربايع المعروفة نشأ في البادية في المواضع الشمالية الشرقية حتى الجهة الغربية .كان صاحب غنم وابل ولد سنة 1860م، وتوفي 1940م

5 - الهادي بن علي الذهبي :

الهادي بن علي الذهبي وهو من الذهايبة اولاد حميد لصفر ينسبون الى قبيلة الرقيعات ،كانوا يرتحلون الى الاراضي الشمالية مثل جارش وراس الطنب وبوحلين وغيرها ، توفي حوالي سنة 1945م وعمره حوالي ثمانين عاما ، وكان ينزل شتاء بالدريميني.

6 - ناجي بوعزة:

ناجي بن حمة اميدة بوعزة من اولاد زق زاو عميرة من عمايرالربايع، عاش في البوادي الشرقية والشمالية وينزل في الجديدة ، بدأ حياته فقيرا يذهب الى الشمال ليعمل اجيرا وكذلك الى وادي ريغ والزيبان،واخيرا امتلك النخيل في الجديدة وظل يرتحل الى البوادي وفي اواخر حياته استقر بالجديدة وله ولدان ساعداته في العمل في تربية الماشية وغراسة النخيل ، توفي عن عمر يناهز الستين عاما بالجديدة عام 1950م.

7 - العربي بن الطاهر بن دوقة:1892-1969م

هو العربي بن الطاهر لونيس ولد خلال 1892 م من اسرة فقيرة وكثيرة العدد كان والده فلاحا يعتمد على غراسة النخيل والزراعة الموسمية ،وقد عرف الشاعر بالذكاء فقد اشتغل حدادا ونجارا وبناء وختان اطفال ومداحا كذلك.

8 - عائشة بنت اللبة:1870-1970م

ولدت عون عائشة بنت على عون بن اللبة في حي الاعشاش بالوادي حوالي سنة 1870م وهي من عرش الاعشاش وامها مريم بنت رزيق ،تزوجت احمد الصالح شريط وانجبت منه عدة ابناء ، وقد منعها من قول الشعر لكنه راى حلما مزعجا فتراجع عن منعه يقال انه راى في منامه الشيخ عبد القادر يخنقه.

نشات الشاعرة في اسرة فقيرة تقليدية تتبع الطريقة القادرية وتستمع الى المداحين وتحفظ المدائح حتى استقامت سليقتها على قول الشعر ، وكان اكثر شعرها في مدح شيوخ الطريقة القادريةوخصوصا الشيخ الهاشمي بن ابراهيم والشيخ عبد القادر الجيلاني توفيت الشاعرة عام 1970م ودفنت في مقبرة اولاد حمد قرب قبر زوجها احمد الصالح.

9 - بلقاسم كلعة الحمدي:

ولد الشاعر بلقاسم كلعة في قرية سحبان قرب وادي العلندة اوائل القرن العرشرين نشأ في البادية على الرعي ثم استقر على غراسة النخيل تناول بلقاسم معظم الموضوعات المستمدة من عقيدة الشعب وقيمه وعاداته لكنه يصوغها صياغة بدوية متينة قوية ،توفي سنة 1974م.

10 -نصر الحجاجي: توفي 1982م

نصر بلقاسم الحجاجي ولد بالبادية الشمالية جهة النفطية وكان ينزل قرية هبة وقبلها كانوا ينزلون الوادي في الضاحية المعروفة حاليا بالقارة عمل في الرعي ثم مقايضة المواد البدوية ثم اصبح يجلب ابعار الابل التي تستعمل لتسميد النخيل توفي في هبة عام 1982م عن عمر يناهز السبعين.

11 -علي عجمية:1919-1998م

من قبيلة اولاد ولد حمد ولد ولد بالعقيلة قرية من قرى عميش المنطقة الجنوبية من وادي سوف سنة 1919م نشأ اميا لم تتح له فرصة التعليم مارس الفلاحة وغراسة النخيل قال الشعر في المشاكل الاجتماعية البسيطة ومدح الاولياء الصالحين وبعض الاراجيز في مراقصة الاطفال.

12 -بلقاسم مشري:ق 19م

وولد ببلدة كوينين قرب مدينة الوادي ونشأ نشأة دينية تقليدية ،على حلقات الذكر والمدائح الدينية على الطريقة الرحمانية وكتن يزور الشيخ بن عزوز في البرج قرب مدينة بسكرة ،وجدت له عدة قصائد مديحية في السفينة.

13 -محمد بن عمر كنيوة العشي: 1868-1948م:

ولد محمد بن عمر في بلدة الرباح خلال 1968م في اسرة تمارس غراسة النخيل تربى في قرية العقلة نشأ على غراسة النخيل وزراعات بسيطة وكان يمارس هوايته المفضلة نظم الشعر الشعبي والتغني به في المناسبات الدينية والاجتماعية ،وشعره ميال الى الجانب الديني توفي رحمه الله في العقلة 1948م .وترك اربع ابناء وبنات

14 -مريم لعبيدي:1898-1976

مريم لعبيدي من النخلة ولدت مريم بنت الطالب عمار بالنخلة الغربية كان ابوها طالب قران وكان يقطن في الجريد التونسي وحدث خلاف بينه وبين اهل البلاد فهرب الى اخواله من اولاد مسغونمي المصاعبة وزوجوه ابنتهم وانجب منها الشاعرة مريم وقد تزوجت من بلقاسم فطحيزة علي وانجبت ابناءها احمد وعمار توفيت في النخلة عام 1976م

15 -عبد الغني الناع: 1924-1986:

ولد عبد الغني الناع في بلدة كونين سنة 1924 من اسرة فقيرة عاش يتيما تربى على يد خالته وعمه تعلم في كتاب البلدة فحفظ نصيبا من القران الكريم واتقن مهنا كثيرة منها صناعة السعف والتجارة والبناء بالجبس وقد تزوج وانجب عدة ابناء ، واصيب بمرض نقل على اثره الى العاصمة اين توفي عام 1986 م عرف بقول الشعر في مدح الرسول —ص- والاولياء الصالحين

16 -عمارة الركروكي: 1918-2000م

عمارة بن العيد الركروكي ولقبه العائلي الزغدي من قبيلة اولاد جامع ولد في مدينة الوادي 1918م حفظ ما تيسر من القران في الكتاب ثم رحل في شبابه الى تونس وعمل بمصانع الاسمنت ومنجم ام العرايس والمتلوي وكان يتردد على ارض الوطن جند في سنة 1940 في الحرب العالمية الثانية تاثر ببعض الشعراء من بينهم ابراهيم بن سمينة وشاعر اخر واخذ يحفظ الشعر وينشده في حفلات الاعراس ،شارك في بعض التظاهرات الوطنية بقصائده توفي عام 2000م

17 -بادي الطيب بن علي المصباحي: توفي 2010م:

ولد بادي الطيب بن علي المصباحي الربعي في البوادي الشعرقية المسماة الشيباني والجرارة والصبايعة وكان ينزل في الشتاء في قرية الدريمني نشأ يرعى الغنم والابل ، توفي سنة 2010

18 -ابراهيم بن سمينة:

هو ابراهيم بن علي بن عبد بن سالم المصباحي الربعي ، وامه فاطمة بنت الحاج علي بالرداد تنتسب الى عميرة الرقيعات من عماير الربايع هي الاخرى ولد في حي السمانية ضاحية بلدة البياضة بين سنتي 1860-1865م نشأ الشاعر في مجتمع بدوي جل ثقافته الغناء والشعر ،عانى الشاعر اوخر حياته مدة طويلة من مرض صدري قيل انه الربو واقعده في سنواته الاخيرة الى ان توفي سنة 1945م في مسقط رأسه قرية السمانية

19 -البشير حداد: 1905-2000م

ولد البشير بن يوسف المعروف بشير الحداد من قبيلة ولاد حجاج عام 1905 في قرية تكسبت قضى الشاعر شبابه وشطرا من كهولته في البادية وتعرف عليها موضعا موضعا وهو في شعره يسهب في ذكرها وتعدادها واخيرا استقر في شيخوخته في قرية تكسبت الى ان توفي عام 2000م

20 -علي بزحمية الفرجاني عقاب: 1896-1963 م

ولد خلال 1896 نشأ اميا في البادية ،حول طريقته من القادرية الى التجانية وصار من مداحيها ، توفي سنة 1966م

21 -حمة بن رابح كزوز الجامعي : 1880-1963م

هو محمد بن رابح كزوز الجامعي ولد بالرقيبة سنة 1880م نشأ بدويا اشتغل بالتجارة والنخيل شاعر مميز في الحكمة والوعظ توفي عام ،1963

22 -ابراهيم بن عامر: 1875-1932

ولد الشيخ ابراهيم سنة خلال عام 1875 بالوادي اظهر منذ صغره ميلا واضحا للعلم والتعليم حفظ جزاء من القران في صباه وتلقى دروسا ، درس بجامع الزيتونة وكان يدرس جوهرة التوحيد ومختصر البخاري وهو مولع بكرامات الاولياء ، توفي عام 1932م.

المقدمة.....أ

## الفصل الأول

## فصل التمهيدي

أولا : ماهية المجتمع:.....06

ثانيا: التعريف بمنطقة وادي سوف:.....12

دلالات التسميـــة:.....13

الموقع الجغرافي:.....15

الإطار التاريخي:.....19

الإطار الاقتصادي:.....23

الإطار الاجتماعي والثقافي:.....26

الإطار الديني:.....33

ثالثا: الشعر الشعبي دراسة نظرية:.....38

مدخل إلى الأدب الشعبي:.....38

مفهوم الشعر الشعبي:.....43

تسميات الشعر الشعبي:.....45

نشأة الشعر الشعبي:.....48

أغراض الشعر الشعبي:.....50

**الفصل الثاني**

**صور من حياة المجتمع السوفي في الشعر الشعبي**

تمهيد:.....56

تجليات الطبيعة(البيئة) السوفية في الشعر الشعبي:.....56

المظاهر الدينية:.....65

المظاهر اقتصادية:.....76

المظاهر اجتماعية:.....87

**الفصـــل الثالث**

**وظائف الشـــــــعر الشعبي**

مدخل:.....103

أولا : الوظيفة التربوية التعليمية :.....104

القيم الأخلاقية:.....107

القيم الدينية:.....124

ثانيا: شعر المناسبات:.....132

الشعر الخاص بالمناسبات الدينية:.....133

الشعر الخاص بمناسبات دورة الحياة:.....139

الخاتمة.....147

ملحق.....149

قائمة المصادر والمراجع.....156

الفهرس.....161